تبيان الصِّفات بالآيات البيِّنات

تأليف

السيِّد أبي طاهر بن محمود مَدَني السَّواكني الأزهري

(١٣٢٧ - ١٤٠٢هـ)

تحقيق ودراسة

د. محمد عبد الله مختار

أكاديمي سوداني، أستاذ مساعد بكلية جبرة العلمية بالخرطوم

ملخص البحث

هذا الكتاب اشتمل على موضوعٍ عظيمٍ جليل، وهو بيان الصفات الثابتة لله تعالى في الكتاب والسنة.

كما اشتمل على بيان معتقد أهل السنة والجماعة القائمِ على إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسولُه ﷺ من غير تحريفٍ ولا تعطيل، ومن غير تكييفٍ ولا تمثيل.

كما تطرق لبيان عَور منهج الأشاعرة وتناقضِهم البيِّن في باب صفات الله تعالى؛ حيث أثبتوا بعض الصفات – وهي صفات المعاني السبع –، ونفوا البعض الآخر – وهي الصفات الفعلية؛ كالاستواء، والصفات الذاتية الخبرية المحضة؛ كالوجه واليدين.

وهذا الكتاب في الأصل هو تجريد لكتاب منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث جرَّده المؤلف من بعض الاصطلاحات الكلاميَّة التي استعملها الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في ردِّه على الأشاعرة.

وقد قمت بتحقيقه على نسخةٍ خطيَّةٍ بخط المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقد عملت عليها تعليقات في المواضع التي تحتاج إلى ذلك.

كما قدمت للكتاب بمقدمة بيَّنت فيها أهميَّة الكتاب وقيمته العلميَّة مع ترجمة مختصرة للمؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

Abstract

This book covers an immensely important subject, namely the divine attributes that are mentioned in the Quran and Sunnah. It also explains that the belief of Ahl al-Sunnah wa al-Jamaa'ah is to affirm the divine names and attributes that Allah and His Messenger r have affirmed without denying (ta'ateel) any of them, distorting (tahreef) their meanings, designating modality (takyeef) to them, or likening them (tamtheel) to those of His creation.

This book also seeks to clarify the errors and contradictions of the Ash'arite methodology as it relates to Allah's attributes. The Ash'arite affirm some divine attributes, such as the seven eternal attributes, but negate others, such as the attributes pertinent to Allah's actions (e.g. istiwaa) and essence (e.g. His Face and Hands).

It should be noted that this book is an abridged version of the book Manhaj wa Dirasaat li Ayaat al-Asmaa Wa al-Sifaat by Sheikh Muhammad al-Amin al-Shanqiti. The author removed the philosophical terms used by al-Shanqiti in refutation of the Ash'arites.

My critical editing of the book is based on a manuscript, which I annotated where necessary, bearing the handwriting of the author. I also wrote a preface to the book clarifying its importance and its academic value, in addition to a brief biography of the author.

.

مقدمة التحقيق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

وبعد: هذا المؤلَّف الجليل لعلَمٍ من أعلام الدعوة السَّلفية كان عارفاً بأصول أهل السُّنَّة والجماعة، عاملاً بها، داعياً إليها، فكان منهجه تدريس كتب السُّنة؛ كصحيح البخاري، ولذا استفاد جلساؤه من طلبة العلم، فحملوا لواء الدَّعوة إلى السُّنة من بعده، وأخصُّ منهم الشيخ سيِّد أحمد الحاج عثمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي سلك مسلكه في التدريس والتعليم بعيداً عن الانتماءات مما وجد قبولاً عند طلابه، فتدافع إليه الطلاب من سائر الطوائف والجماعات، فنالوا من علمه الغزير، جزاه الله عنا وعن الإسلام خير الجزاء.

وهذا المؤلَّف هو تقرير لمعتقد أهل السنة في باب الأسماء والصِّفات سلك فيه طريقة السَّلف، وهي الاعتماد على النُّصوص مع الإشارة إلى طوائف التعطيل والتأويل، وبيان فساد طريقتهم في هذا الباب.

فلما قرأته ألفيتُه نافعـًا يستحق النشر لينتفع به الطلاب، فعمدت إلى تحقيقه.

والله تعالى المسؤول بمنِّه وكرمه أن يوفقنا لخير القول والعمل، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه.

سبب اختيار الكتاب:

الذي دفعني إلى اختيار هذا الكتاب وتحقيقه أن مؤلفه رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد قرَّر فيه معتقد السلف، في باب الأسماء والصِّفات، والذي ضلّت فيه أكثر الفرق المخالفة لأهل السنة، كما أنه وجد من طلابه مَنْ هو على معتقد الأشاعرة ويستبعد أن يكون الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ على غير هذه الطريقة. فلعلّ في إخراج هذا الكتاب ونشره حجةً عليهم، ودعوةً لهم لسلوك منهج الحق، لأن للشيخ مكانةً في قلوبهم.

خطة البحث:

جعلت البحث في مقدِّمة وقسمين:

المقدِّمة: وفيها خطبة الحاجة، وسبب اختيار الكتاب، وخطة البحث، وعملي فيه.

القسم الأول: الدِّراسة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ترجمة المؤلِّف.

المطلب الثاني: التّعريف بالكتاب ونسخه ومنهج المؤلف فيه.

القسم الثاني: التّحقيق، ويشتمل على النصِّ المحقَّق.

عملي في البحث:

١/ قمت بنسخ نسخة الكتاب الفريدة على جهاز الحاسوب، ثم قابلت المنسوخ عليها عِدَّة مرَّات لتدارك السَّقط والأخطاء.

٢/ خرّجت الآيات بعد وضعها على طريقة الرَّسم العثماني.

٣/ علّقت على المواضع التي تحتاج إلى تعليق، وقد يطول التعليق أحيانـًا، وقد يقصر حسب الحاجة.

٤/ عرّفت بالطوائف والفرق التي ذكرها المؤلِّف؛ مع الإشارة إلى شيء من عقائدها، لا سيما في باب الأسماء والصِّفات.

٥/ ترجمت للمؤلِّف ترجمةً موجزة لشحِّ المصادر، حيث إنه معاصر، ولم أجد من تناول ترجمته ترجمةً وافية، إلا ما أخذته من طلابه المتوافرين عندنا في السودان.

٦/ عدّلت الأخطاء الواردة في المخطوط في المتن مع الإشارة إلى الخطأ في الحاشية.

٦/ ذيلت البحث بفهارس للمصادر والمراجع، والموضوعات.

المطلب الأول: ترجمة المؤلِّف[١]

اسمه ونسبه:

هو السيِّد أبو طاهر محمود مدني السَّواكني الأزهري، من نسل الشريف محمد الحسيني. والسَّواكني نسبة إلى مدينة سواكن ميناء السُّودان المشهور على البحر الأحمر.

ميلاده ونشأته:

ولد المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بمدينة سنكات[٢] بشرق السُّودان سنة ١٣٢٧ هـ، ونشأ نشأةً صالحة في بيت علم وأدب، حيث كان والده محمود وجدُّه مِنْ حَمَلَة القرآن، فحفظ على أيديهما. ثم دَرَسَ الفقه الشَّافعي على يد والده وخاله السيِّد باقراب[٣]، وكان مفتي الشَّافعية في مِصْرِه. وكان المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أول أمره يمتهن الزّراعة في دَلْتَا طوكر[٤] بالسودان، وكان يُعلِّم القرآن

(١) هذه الترجمة أكثرها مأخوذ من الترجمة التي أعدها: الشيخ أبو علي المجذوب أبو علي: والي البحر الأحمر -سابقًا- والرئيس الحالي لمجلس شورى المؤتمر الوطني بدولة السودان؛ حيث يعتبر من أشهر طلابه. وأيضًا: الشيخ الفقيه عبد الرحمن بن حامد آل نابت؛ وهو ممن اعتنى بتراث شيخه، (حفظ الله الجميع، وبارك في جهودهم).

(٢) سنكات اسم مدينة تقع بشرق السودان على جبال البحر الأحمر، تبعد حوالي أربعين كيلاً عن سواكن ميناء السودان المشهور.

(٣) لم أجد له ترجمة.

(٤) طوكر مدينة ساحلية تقع في ولاية البحر الأحمر بالسودان، وهي مدينة زراعية خصبة الأراضي تُروى بخور بركة؛ ولذا قيل لها دَلْتا.

بمسجد السيِّد مدني حسين[١] بطوكر، ويكتب المصاحف، وكان جيِّد الخط، واشتهر بذلك.

رحلته في طلب العلم:

ذهب إلى مصر ودخل الأزهر الشريف، وذلك في العام ١٣٤١هـ، وكان مبرِّزاً بين أقرانه، حتى نال الشَّهادة العالمية للأزهر متفوِّقاً على أقرانه. وقد دَرَسَ بالأزهر سبعة أعوام. ثم بعد ذلك رحل إلى مدينة القدس، وتولى التَّدريس ببيت المقدس لمدَّة ثلاث سنوات، وكان من آثاره: إنشاء المدرسة السَّواكنية في صحن المسجد الأقصى، والتي ختم فيها البخاري خمس مرات. ثم لما ضيَّق المستعمر اليهودي على المسلمين بعد الاحتلال رجع إلى وطنه السُّودان، وذلك في عام ١٩٤٨م، وبدأ في تدريس شتّى الفنون بمسجد السيِّد مدني حسين إبراهيم بمدينة طوكر، ثم انتقل منها إلى مدينة بورتسودان، وبدأ دروسه الشَّهيرة في الجامع الكبير منذ العام ١٣٦٨هـ إلى أن توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

شيوخه:

أخذ المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ العلم عن شيوخ كثر، حُفِظَ منهم:

١) والده محمود مدني السَّواكني.

٢) جدُّه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٣) الشيخ محمد حبيب مأيابا الشَّنقيطي المالكي، صاحب زاد المسلم

(١) لم أقف له على ترجمة.

فيما اتفق عليه البخاري ومسلم[١].

٤) الشيخ منتصر الكتاني، صاحب كتاب الرِّسالة المستطرفة في كتب السنَّة المشرَّفة.

٥) الشيخ المُحدِّث محمد الخضر بن مأيابا الشَّنقيطي المالكي، صاحب كوثر المعاني الدَّراري في كشف خبايا صحيح البخاري[٢].

تلاميذه:

للمؤِّلف تلاميذ متوافرون عندنا بالسودان لا يزال الكثير منهم على قيد الحياة، ولهم مشاركات في نشر العلم، ومن هؤلاء:

١- الشيخ أبو علي مجذوب أبو علي، والي البحر الأحمر سابقًا، والرّئيس الحالي لمجلس شُّورى المؤتمر الوطني القومي بدولة السُّودان.

٢- الشيخ سيد أحمد الحاج عثمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو من أميز طلابه والذين سلكوا طريقته في التَّدريس والتَّعليم، وقد درس عليه الشيخ محمد أمان الجامي رَحِمَهُ ٱللَّهُ المدرس بالحرم النبويِّ الشريف.

٣- الشيخ إدريس علي سراج المدرس بكرسي الإمام مالك بالجامع الكبير -بورتسودان- وخطيب وإمام مسجد العزمية.

٤- الشيخ أحمد أوهاج المدرس بكرسي الإمام مالك بالجامع الكبير -بورتسودان-.

---

(١) توفي سنة (١٣٦٣) هـ. انظر ترجمته في الإعلام، للزركلي ٦/ ٤٥.

(٢) توفي سنة (١٣٥٤) هـ. انظر ترجمته في المصدر السابق ٦/ ١١٣.

٥- الشيخ مصطفى أحمد ناجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ خطيب وإمام المركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بالسجانة -السودان-.

٦- الشيخ وقيع الله محمد أحمد، رئيس جماعة أنصار السنَّة المحمَّدية بولاية البحر الأحمر[1]، وأحد المقرئين الأثبات.

٧- الشيخ الماحي أبو محمد الشَّاذلي، الفقيه المقرئ.

٨- الشيخ مصطفى أبو محمد الشَّاذلي، الفقيه النحوي.

٩- الشيخ محمد حميدة الأحمدي، مدرس العلوم الشَّرعية بالجامع الكبير بمدينة بورتسودان.

١٠- الشيخ الفقيه محمد أحمد المدني، وهو من أقرباء المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

١١- الشيخ عبد الرحمن حامد آل نابت، وله عناية خاصة بجمع علم الشيخ، وقد أهداني هذه النسخة كي أعمل على تحقيقها -(فجزاه الله خير الجزاء)-.

كما قرأ على المؤلِّف جمعٌ من أهل العلم من خارج القطر السوداني واستجازهم في بعض مروياته:

١٢- منهم: الشيخ العلامة المُحدِّث حمَّاد بن محمد الأنصاري المدني، وقد أجازه المؤلِّف في صحيح البخاري بالسند المتَّصل إلى صاحب الصَّحيح.

١٣- كما قرأ عليه -أيضًا- المحدِّث الفقيه الشيخ إسماعيل الأنصاري، صاحب الكتب المفيدة والتعليقات السَّديدة.

---

(١) ولاية البحر الأحمر، ولاية سودانية تقع في أقصى شرق السودان وعاصمتها بورتسودان.

١٤- وقرأ عليه- أيضاً- الشيخ سيِّد سابق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، العالم المشهور، صاحب فقه السنَّة.

ثناء العلماء عليه:

أثنى على المؤلِّف كلُّ من درس على يديه، وذلك لما كان يتمتع به من: العلم، وقوة الحفظ، والصَّبر على الدَّعوة.

ومن هؤلاء الشيخ حمَّاد الأنصاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال عنه: «لقد تأثرت بالشيخ طاهر السواكني في علم الحديث، فقد نصحني بتعلّمه، واقتناء كتبه، والسير على منهج أهله»[1] انتهى.

ومنهم: تلميذه أبو علي مجذوب أبو علي -حفظه الله تعالى- فقد أفاد: أن ما تميَّز به الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنه كان ضانًا بوقته باذلاً جميعه في: العلم والتعليم والتصنيف حتى لا يكاد يرى إلا مشتغلاً بالقراءة، أو الكتابة، أو التدريس. كما أنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان متورعاً من الفتيا؛ وإذا جاءه المستفتي؛ أحاله إلى غيره -ممن تصدى لذلك-.

مؤلَّفاته:

للمؤِّلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ مؤلَّفات عديدة تتَّسم بالتَّحقيق والتَّدقيق، بعضها نشر في حياته، وكثير منها مخطوط عثر عليه بعد وفاته، ومن هذه المؤلَّفات:

أولاً: المطبوع من مؤلَّفاته:

١) «الدين المتين من كلام سيِّد المرسلين».

(١) المجموع في ترجمة العلامة المحدث حماد بن محمد الأنصاري ١/ ١٠.

٢) «البدر المنير في أحاديث البشير النذير».

٣) «السِّراج الوهَّاج المقتبس من التّاج».

٤) «معالم الهداية إلى قوانين الرِّواية».

٥) «الجواهر اللمَّاعة في قواعد البلاغة».

٦) «صحيح السَّواكني وشرحه فتح الغني».

٧) «نوادر الأدب من كلام العرب».

٨) «التَّاج المرصع بالجوهر المكنون».

٩) «جواهر السُّنن وشرحه لطائف المنن».

١٠) «الصِّراط المستقيم الهادي إلى ربِّ العالمين».

١١) «جامعة الفوائد في الضوابط والفوائد».

١٢) «سحائب الرحمة للأنام باجتناب الكبائر والآثام».

ثانيًا: المخطوط من مؤلَّفاته:

١- «عقيدة أهل السنة والجماعة المنقذة من الزيغ والضلالة» -وهذا المخطوط يعمل على تحقيقه تلميذه الشيخ عبد الرحمن بن حامد آل نابت-.

٢- «الآيات البيِّنات في اجتناب البدع والضلالات».

٣- «تبيان الصِّفات بالآيات البيِّنات». وهو الكتاب الذي قمت بتحقيقه.

٤- «النُّور السَّاطع في بيان فضل العلم النافع».

٥- «ثواب المتّقين من كلام ربِّ العالمين».

٦- «شواهد الأدب من كلام العرب».

٧- «إرشاد السَّالك لشرح ألفيَّة ابن مالك» -وقد سُجِّل رسالة دكتوراه بجامعة أم درمان الإسلاميّة-.

٨- «رسالة نافعة في حكم الاحتفال بالمولد» -وفي ضمنها: رسالة الشيخ عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حكم الاحتفال بالمولد.

٩- «سبيل الوصول إلى علم الأصول».

١٠- «إعلاء دين الإسلام بشرح الإلمام»، لابن دقيق العيد، وهو مخطوط كبير يقع في ١٥٠٠ صفحة، وقد سجلت فيه رسالتان، رسالة ماجستير، وأخرى دكتوراه بجامعة أم درمان الإسلامية.

١١- «الدر المختار بشرح منتقى الأخبار» -ووجد مخرومًا، ويقع في ١١٠٠ صفحة-.

١٢- «فتاوى في التصوف وحكم الموالد».

عقيدة المؤلِّف:

المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان يسير على معتقد أهل السنة والجماعة، وممّا يدلُّ على ذلك: مؤلَّفاته الماتعة، والتي ألَّفها في توضيح عقيدة أهل السنة، ومنها: هذه الرِّسالة -التي أقوم بتحقيقها-، فهي في توضيح معتقد أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصِّفات، والّذي زلَّت فيها أقدام أكثر الفرق المخالفة لأهل السنة. وكذلك كتابه: «عقيدة أهل السنة المنقذة من الزيغ والضَّلالة»؛ وهو في تفصيل مجمل اعتقاد أهل السنة في جميع أبواب العقيدة. وقد سلك فيه طريقة المتقدِّمين: كالإمام الطَّحاوي، وغيره -ممن

أَلَّف في مجمل اعتقاد أهل السنة-.

وممّا يدلُّ على صفاء عقيدته أنه كان على اتصال مستمرّ بجماعة أنصار السنة المحمَّدية بالسُّودان، وهي جماعة دعوية تدعو إلى التّوحيد ومحاربة البدع، وقد كان المؤلِّف يحضر سنوياً إلى المركز العام لهذه الجماعة بالخرطوم ويلقي الدروس النافعة في تصحيح المعتقد.

هجرته إلى مدينة بورتسودان:

لِمَا تميَّز به منهج الشيخ من: حُسن المعتقد، ومحاربة التَّقليد، والدّعوة إلى الأخذ بالسنة، ونبذ التعصب، فقد وجد: تعنّتاً وعداوةً من المشايخ المقلِّدين الّذين يرفضون التفسير، وتدريس كتب السنة. فقد كان مِنْ حال هؤلاء أنهم ألَّبوا عليه المستعمر البريطاني حتى رَحَلَ من موطنه مدينة -طوكر- إلى مدينة بورتسودان، وكان ذلك فتحاً على الناس؛ حيث إنَّ هذه المدينة كانت: معبراً، وطريقاً إلى السّفر -للحجِّ والعمرة-، ويؤمُّها عدد كبير من طلبة العلم، فكان خيراً على الناس -فَرُبَّ ضارّةٍ نافعة- فالتف حوله عدد كبير من طلبة العلم -من سائر مناطق السُّودان-.

وكان يؤمُّه: العلماء، والمشايخ -وهم في طريقهم إلى الحجاز-؛ كما حصل من لقاء الشيخ المُحدِّث حمَّاد الأنصاري، والشيخ إسماعيل الأنصاري رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ، وغيرهما من أهل العلم به.

وفاته:

توفي الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة ١٤٠٢هـ، وقد خَلَّف مكتبة ضخمة، أوصى عليها

آل باعبود ببورتسودان[١].

وقد دفن رَحِمَهُ ٱللَّهُ بمقابر فاروق المشهورة بالخرطوم.

ألا رحمه الله رحمةً واسعة، وأجزل له الأجر والثواب بقدر ما قدّم من خير ونفع للناس.

(١) وقد آلت هذه المكتبة إلى جامعة البحر الأحمر في جناح خاص يحمل اسم الشيخ، وهي مفتوحة للزائرين للمطالعة. كما سُجِّلت مخطوطاته بدار الوثائق بالخرطوم.
وآل باعبود أسرة عريقة من أصلٍ حضرمي، يعملون بالتجارة، وهم مَنْ آوى الشيخ وهيأ له الجوَّ العلمي والدَّعوي، وهم مشهورون بالأعمال الخيرية والمنافسة عليها.

المطلب الثاني: التّعريف بالكتاب ونسخه ومنهج المؤلف فيه، والمقارنة بينه وبين كتاب «منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات»:

الكتاب -فيما يبدو- هو اختصار لكتاب الشيخ العلاّمة: محمّد الأمين الشَّنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ «منهج ودراسات لآيات الأسماء والصِّفات»؛ حيث التّطابق في أغلب: العبارات، والأدلة، والنصوص، وطريقة الترتيب، إلا أنّ المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ اختصر من كلام الشيخ محمد الأمين الشَّنقيطي: ما يكون من كلام المتكلمين ولا علاقة له بمذهب السلف.

ولعلّ مقصد الشيخ أبي طاهر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تقريب مادة الكتاب والانتفاع بأصله؛ حتى لا يستثقله القارئ -خصوصاً قرّاء هذا الزّمان-؛ حيث يغلب عليهم الاقتصار على المختصرات -دون المطوّلات-؛ لكثرة الشَّواغل، وعموم الصَّوارف.

ولا شكَّ: أنَّه جهد مقدَّر من الشيخ فيه: توضيحٌ، وبيان لمعتقد أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصِّفات؛ الذي ضلَّت فيه أكثر الطوائف المنتسبة للإسلام، وعظم الاختلاف فيه، بسبب ما أحدثه المتكلِّمون من الكلام في: الجوهر والعَرَض، وشبهة المجاز.

واختصار المؤلفات أحد أغراض التأليف، وقد دَرَجَ عليه العلماء؛ كصنيع الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ واختصاره لكتاب «الاستغاثة» لشيخ الإسلام: وسمَّاه «تلخيص الاستغاثة». وهذا النوع من التأليف يحتاج إلى باعٍ في العلم؛ حتى لا يحيل المعنى -إذ هو أشبه بالرواية بالمعنى-، ونحسب أنّ أبا طاهر رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أهل هذا الشَّأن؛ (نفع الله بعلمه).

وأما نُسَخ الكتاب: فللكتاب نسخة واحدة –وفريدة–: وهي نسخة بخط جيِّد واضح. كتبها المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وذلك في العام ١٣٩١هـ كما جاء في نهايتها، وهي تقع في ١٢ ورقة.

وكان المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد أعدَّها للطبع –كما جاء في صفحة العنوان–؛ إلا أنها لم تطبع.

نسبة الكتاب إلى المؤلف:

صحة نسبة الكتاب إلى المؤلف ثابتة، وذلك لأمور:

الأول: أنه قد عثر على هذه النسخة –مع كتب الشيخ المحفوظة–: لدى أسرة آل باعبود بمدينة جدة– بالمملكة العربيَّة السُّعودية–؛ مما يؤكد صحة نسبتها إليه.

الثاني: أنه جاء في صفحة العنوان نسبة الكتاب إليه.

الثالث: أن هذا هو خط المؤلف المشهور بالمقارنة مع كتبه الأخرى وبمراجعة بعض تلاميذه؛ كتلميذه أبي على المجذوب –حفظه الله–.

منهج المؤلِّف في الكتاب:

المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الكتاب سلك مسلكين:

الأول: التّدليل على إثبات الصِّفات بطريق القرآن المتّفق على حجِّيته، وهذا منهج قد ينتفع به المخالف، لأنَّ كثيراً ممن ضلَّ في هذا الباب: يعتقد أن السُّنة الآحادية لا تعتبر: دليلاً، أو طريقاً لإثبات العقائد.

الثاني: أنه ذكر في البدء صفات المعاني السَّبع –التي تثبتها الأشاعرة–؛ وهي: القدرة، والإرادة، والعلم، والحياة، والسمع، والبصر، والكلام، وبيَّن

أنَّ المخلوق يوصف بها، ومع ذلك فالأشاعرة يثبتونها ليُبطل دعوى: أنّ إثبات الصفات يقتضي التشبيه. ثم أورد بعد ذلك الصِّفات التي تنفيها الأشاعرة؛ وهي: الصِّفات الفعليّة، ثم ذكر بعدها: الصِّفات التي اختلف فيها المتكلِّمون؛ وهي: الرَّأفة، والرَّحمة، والمغفرة. هل هي من صفات الأفعال؟، أم هي من صفات المعاني؟. وكلُّ ذلك: حتى يدلّل على مدى اضّطرابهم في هذا الباب؛ إذ جميع الصِّفات من بابٍ واحد، وكلُّها مشتركة في الاسم العام -بين الخالق والمخلوق- إلاَّ ما كان خالصاً منها لله؛ كإسم: الله، والرَّحمن، والتَّفريق بينها: بإثبات البعض، ونفي الآخر تناقض، لأنه تفريق بين المتماثلات، وهو أصل من أصول الضّلال.

المقارنة بين كتاب «تبيان الصفات بالآيات البيِّنات» وكتاب «منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات»:

ذكرت فيما تقدم أن كتاب « **تبيان الصفات بالآيات البيِّنات**» مختصر من كتاب الشيخ العلامة «**منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات**»؛ ولا بد من عقد مقارنة بين الأصل والمختصر لتظهر هذه الدعوى:

فالشيخ أبو طاهر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «**تبيان الصفات بالآيات البيِّنات**» حافظ على أصل كلام المؤلف لكتاب «**منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات**»؛ وهو العلامة محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلا أنه حذف بعض الأمور والتي لا علاقة لها بمنهج السلف في باب الأسماء والصفات، وإنما هي ذكر لبعض الفرق المخالفة في هذا الباب؛ كالمعتزلة، أو هي من باب ذكر مناهج المتكلمين في باب الصفات؛ وذلك على النحو التالي:

١) حذف تقسيم المتكلمين للصفات؛ حيث ذكر الشيخ محمد الأمين

الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن المتكلمين يقسمون الصفات إلى ستة أقسام: صفة نفسية، وصفة سلبية، وصفة معنى، وصفة معنوية، وصفة فعلية، وصفة جامعة، وصفة إضافية...إلخ»[(١)].

٢ـ حذف تعليق الشيخ على صفات المعاني السبع التي تثبتها الأشعرية حيث بيَّن أن المعتزلة ينفونها ويثبتون أحكامها فيقولون: هو –تعالى– حي، قادر، مريد، عليم، سميع، بصير، متكلم بذاته، لا بقدرة قائمة بذاته، ولا إرادة قائمة بذاته، هكذا فراراً منهم من تعدد القديم.

ومذهبهم الباطل لا يخفى بطلانه وتناقضه على أدنى عاقل، لأن من المعلوم: أن الوصف الذي منه الاشتقاق إذا عدم فالاشتقاق منه مستحيل؛ فإذا عدم السواد عن جرم –مثلاً– استحال أن تقول: هو أسود، إذ لا يمكن أن يكون أسود ولم يقم به سواد، وكذلك إذا لم يقم العلم والقدرة بذات استحال أن تقول: هي عالمة، قادرة، لاستحالة اتصافها بذلك، ولم يقم بها علم، ولا قدرة، قال في «مراقي السعود»:

«وعند فقد الوصف لا يشتق وأعوز المعتزلي الحق»[(٢)]

٣) حذف تعليق الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ على الصفات المعنوية وهو قوله: «وَعَدُّ المتكلمين لها صفات زائدة على صفات المعاني مبني على ما يسمونه الحال المعنوية زاعمين: أنها أمر ثبوتي ليس بموجود، ولا معدوم. والتحقيق الذي لا شك فيه: أن هذا الذي يسمونه الحال

(١) أضواء البيان ٢/ ١٩.

(٢) المصدر نفسه ٢/ ٢٢.

المعنوية لا أصل له، وإنما هو مطلق تخيلات يتخيلونها؛ لأن العقل الصحيح حاكم حكماً لا يتطرقه شك: بأنه لا واسطة بين النقيضين البتة، فالعقلاء كافة مطبقون على أن النقيضين لا يجتمعان، ولا يرتفعان، ولا واسطة بينهما البتة؛ فكل ما هو غير موجود فإنه معدوم قطعاً؛ وكل ما هو غير معدوم فإنه موجود قطعاً، وهذا مما لا شك فيه كما ترى»[(١)].

٤) حذف كلام الشيخ: «بأن الصفة النفسية عندهم فهي واحدة، وقد علمت ما في إطلاقها على الله –يعني من الجراءة والشناعة–»[(٢)].

٥) حذف ما ذكره الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في خاتمة الرسالة، وهو الأمر الثالث بعد قوله: «وينبغي الناظر في هذه المسألة التأمل في أمور..» والأمر الثالث هو في بيان تحقيق المقام في الظاهر المتبادر السابق إلى الفهم من آيات الصفات؛ كالاستواء، واليد وأنه ليس هو التشبيه كما فهمه المتكلمون فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعلم أولاً أنه غلط خلق لا يحصى كثرة من المتأخرين؛ فزعموا أن الظاهر المتبادر السابق إلى الفهم من معنى الاستواء واليد –مثلاً– في الآيات القرآنية هو مشابهة صفات الحوادث. وقالوا: يجب علينا أن نصرفه عن ظاهره إجماعاً، لأن اعتقاد ظاهره كفر، لأن من شبه الخالق بالمخلوق فهو كافر، ولا يخفى على أدنى عاقل: أن حقيقة معنى هذا القول أن الله وصف نفسه في كتابه بما ظاهره المتبادر منه السابق إلى الفهم

(١) المصدر نفسه ٢/ ٢٣.

(٢) المصدر نفسه ٢/ ٢٤. وما بين الفاصلتين هو من المحذوف عند كلام المؤلف عن تقسيم الصفات عند المتكلمين انظر: أضواء البيان ٢/ ١٩.

الكفر بالله، والقول فيه بما لا يليق به جل وعلا، والنَّبي ﷺ الذي قيل له: ﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل: ٤٤] لم يبيِّن حرفًا واحداً من ذلك؛ مع إجماع من يعتد به من العلماء على أنه ﷺ لا يجوز في حقه تأخير البيان عن وقت الحاجة إليه، وأحرى في العقائد، ولا سيما ما ظاهره المتبادر منه الكفر والضلال المبين، حتى جاء هؤلاء الجهلة من المتأخرين فزعموا: أن الله أطلق على نفسه الوصف بما ظاهره المتبادر منه لا يليق، والنَّبي ﷺ كتم أن ذلك الظاهر المتبادر كفر وضلال، يجب صرف اللفظ عنه، وكل هذا من تلقاء أنفسهم من غير اعتماد على كتاب أو سنة؛ ﴿ سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور: ١٦].

ولا يخفى أن هذا القول من أكبر الضلال، ومن أعظم الافتراء على الله جلَّ وعلا ورسوله ﷺ.

والحق الذي لا يشك فيه أدنى عاقل: أن كل وصف وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ فظاهره المتبادر منه السابق إلى فهم من في قلبه شيء من الإيمان هو التنزيه التام عن مشابهة شيء من صفات الحوادث، فبمجرد إضافة الصفة إليه -جل وعلا- يتبادر إلى الفهم أنه لا مناسبة بين تلك الصفة الموصوف بها الخالق، وبين شيء من صفات المخلوقين، وهل ينكر عاقل: أن السابق إلى الفهم المتبادر لكل عاقل هو منافاة الخالق للمخلوق في ذاته وجميع صفاته؟! لا، والله لا ينكر ذلك إلا مكابر!!.

والجاهل المفتري الذي يزعم أن ظاهر آيات الصفات لا يليق بالله لأنه كفر وتشبيه إنما جرَّ إليه ذلك تنجيس قلبه بقذر التشبيه بين الخالق والمخلوق، فأداه شؤم التشبيه إلى نفي صفات الله -جل وعلا-، وعدم

الإيمان بها؛ مع أنه -جل وعلا- هو الذي وصف بها نفسه، فكان هذا الجاهل مشبهاً أولاً، ومعطلاً ثانياً، فارتكب ما لا يليق بالله ابتداء وانتهاء، ولو كان قلبه عارفاً بالله كما ينبغي، معظِّماً لله كما ينبغي، طاهراً من أقذار التشبيه: لكان المتبادر عنده السابق إلى فهمه أن وصف الله -جل وعلا- بالغٌ من الكمال والجلال ما يقطع أوهام علائق المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين، فيكون قلبه مستعداً للإيمان بصفات الكمال والجلال الثابتة لله في القرآن والسنة الصحيحة، مع التنزيه التام عن مشابهة صفات الخلق على نحو قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]»[1].

(١) أضواء البيان ٢/ ٣٠ ـ ٣٢.

نماذج من المخطوطة

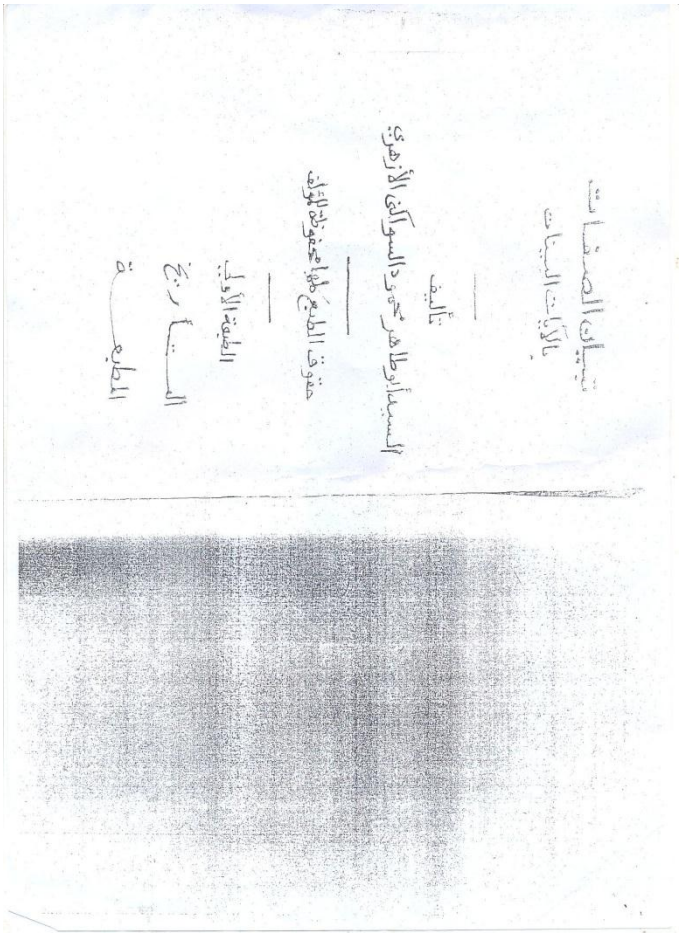
بيان الصفات
بالآيات البينات

تأليف
السيد أبو طاهر محمد السوكاني الأزهري

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى
مطبعة

صفحة العنوان

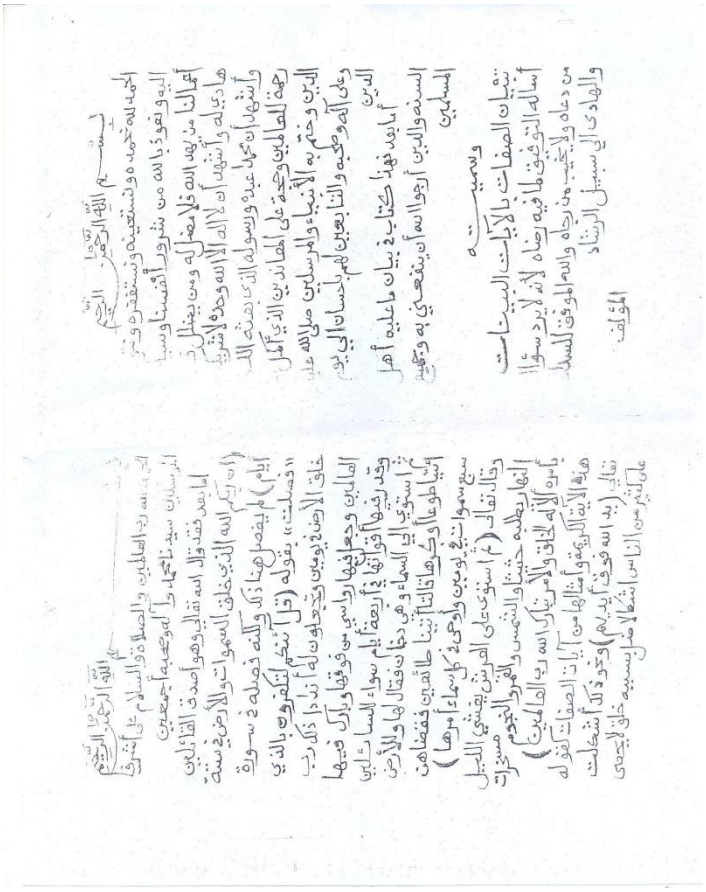

الصفحة الأولى

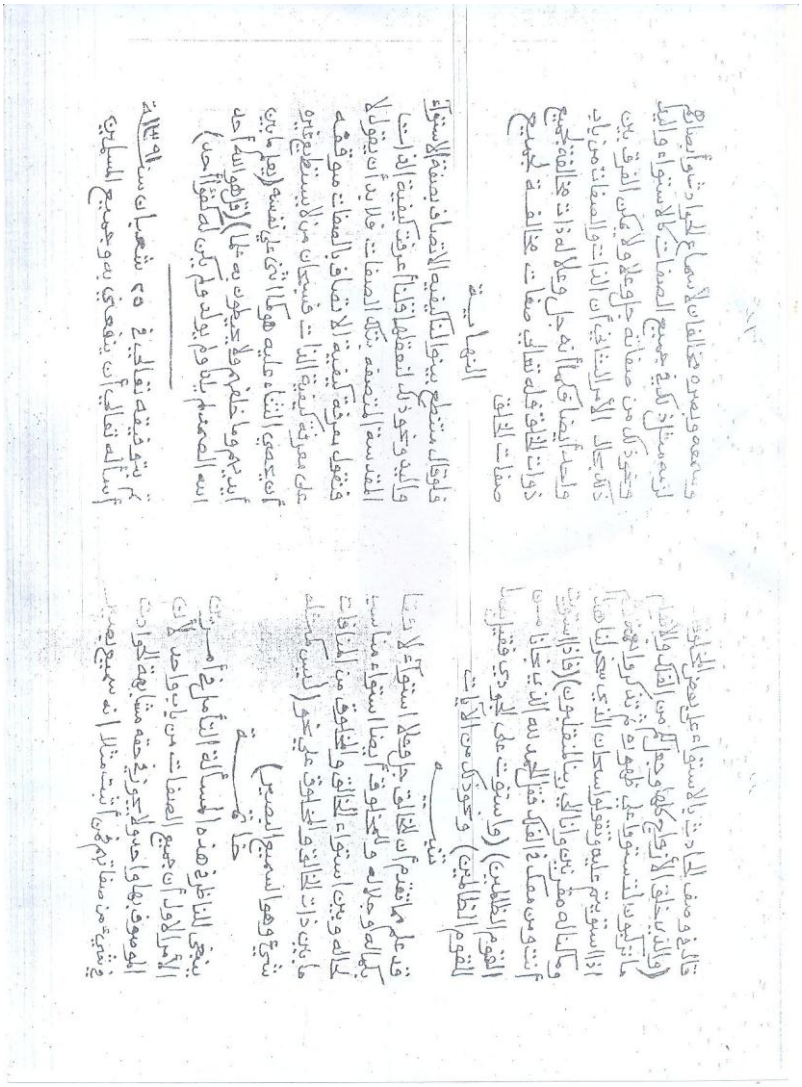

الصفحة الأخيرة

القسم الثاني: التحقيق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهدِّ الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمّداً عبده ورسوله[1] الذي بعثه الله رحمةً للعالمين، وحجّة على المعاندين، الّذي أكمل به الدِّين، وختم به الأنبياء والمرسلين، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه والتَّابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين.

أما بعد فهذا كتاب في بيان ما عليه أهل السنة والدِّين؛ أرجو الله أن ينفعني به وجميع المسلمين.

وسميَّته: «**تبيان الصِّفات بالآيات البيِّنات**»[2].

أسأله التّوفيق لما فيه رضاه، لأنه لا يَرُدُّ سؤال مَنْ دعاه ولا يخيِّب مَنْ رجاه، والله الموفِّق للسَّداد والهادي إلى سبيل الرَّشاد.

المؤلِّف

---

(١) هذا جزء من خطبة الحاجة المأثورة عن النبي ﷺ، والتي تشرع بين يدي خطب الجمع، والدروس، والمحاضرات، وعقود النكاح، ونحو ذلك، وقد أخرجها الإمام مسلم في صحيحه ٢/ ٥٩٣ رقم (٨٦٨)، وأبو يعلى في المسند ١٣/ ١٦٨ رقم (٧٢٢١)، وابن حبان في صحيحه ١٤/ ٥٢٨ رقم (٦٥٦٨).

(٢) سلك الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مسلكًا فريداً في إثبات الصفات حيث دلّل عليها من القرآن المتفق على ثبوته، ولم يذكر أدلة السنة ليس لأنه لا يرى حجيتها، ولكن لأنَّ أكثر من ضلَّ في هذا الباب لا يرى الاحتجاج بالسنة على هذا الباب؛ لزعمهم أنها أحاديث آحاد لا تفيد العلم، فمن باب إقامة الحجة عليهم اقتصر على أدلة القرآن، وهذا منهج قد ينتفع به المخالف، لأن المقصود اعتقاد الحق والإيمان به بغض النظر عن الطريق إليه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسَّلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فقد قال الله تعالى، وهو أصدق القائلين: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف: ٥٤] لم يفصل هنا ذلك، ولكنه فصله في سورة فصلت بقوله: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت: الآيات: ٩ ـ ١٢].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

هذه الآية الكريمة[(١)] وأمثالها من آيات الصفات كقوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] ونحو ذلك أشكلت على كثير من الناس إشكالاً ضلَّ بسببه خلق لا يحصى / [(٢)] كثرة؛ فصار قوم إلى التعطيل[(٣)]، وقوم إلى

(١) إشارة إلى آية الأعراف؛ لذكر الاستواء على العرش فيها، الذي هو من أفراد الصفات الفعلية الثابتة لله تعالى.

(٢) نهاية الورقة (٢) من المخطوطة.

(٣) التعطيل في اللغة مأخوذ من العُطْل الذي هو الخلو والفراغ والترك؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَبِئْرٍ

التشبيه[1]، وتعالى علوّاً كبيراً عن ذلك كلِّه، والله -جلّ وعلا- أوضح هذا

=

﴿مُعَطَّلَةٍ﴾ أي: تركها أهلُها وأهملوا وردَها. والتعطيل في الاصطلاح معناه تخلية الله من صفاته؛ أي نفي صفاته سبحانه وإنكار قيامها بذاته جلَّ شأنه. وقد وقع في تعطيل الصفات طوائف من الناس بين مستكثر ومقلٍّ؛ فالمعتزلة والجهمية نفوْا جميع الصفات، والأشاعرة والماتريدية أثبتوا بعضها ونفوا البعض الآخر، ويقال للجميع معطلة لاشتراكهم في أصل التعطيل وسببه وهو أن إثبات الصفات يقتضي التشبيه، والحق مع أهل السنة الذين جمعوا بين الإثبات والتنزيه؛ فأثبتوا الصفات ونفوا مشابهتها لصفات المخلوقين، فجمعوا بين نصوص التنزيه ونصوص الإثبات. انظر: لسان العرب مادة (عطل): ١١/ ٤٥٣، بدائع الفوائد، لابن القيم ١/ ١٦٩، ونواقض توحيد الأسماء والصفات، للدكتور ناصر القفاري ص: ٣٧.

(١) التشبيه في اللغة أصل واحد يدل على تشابه الشيء وتشاكله لونًا ووصفًا، يقال: هذا شِبْه وشَبَه وشَبيه. معجم مقاييس اللغة ٣/ ٢٤٣.

والتشبيه في الاصطلاح هو إثبات شبيه لله في ذاته أو صفاته، وهو على نوعين: النوع الأول: تشبيه المخلوق بالخالق؛ وهو إثبات شيء للمخلوق مما يختص به الخالق من الصفات، أو الأفعال، أو الحقوق. فالأول: [الصفات] كحال غلاة الصوفية مع من يسمونهم الأولياء حيث يجعلون لهم من الصفات ما لا تنبغي إلا لله؛ كادعاء أنهم يعلمون الغيب. والثاني: كفعل من أشرك في الربوبية كالمانوية والثانوية الذين يقولون بخالقيْن لهذا الكون؛ هما إله الخير وإله الشر، فإله الخير هو النور، وإله الشر هو الظلمة تعالى الله وتقدَّس أن يكون له شريكٌ في الخلق أو الملك. والثالث: كاعتقاد المشركين بأصنامهم حيث عبدوها مع الله تعالى.

والنوع الثاني: تشبيه الخالق بالمخلوق، كاعتقاد بعض الفرق المشبهة ممن وصفوا الله سبحانه تعالى بصفات المخلوقين؛ فقالوا له يد كأيدينا، وعلم كعلمنا، وقدرة كقدرتنا، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. والتشبيه بنوعيه؛ كفر لأنه تكذيب لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ **يقول** نُعيم بن حماد شيخ البخاري: «من شبَّه الله بخلقه فقد كفر» [شرح

غاية الإيضاح، ولم يترك فيه أيَّ لبس ولا إشكال.

وحاصل تحرير ذلك أنَّه -جلّ وعلا- بيّن أن الحق في آيات الصفات متركب من أمرين[١]:

أحدهما: تنزيه الله -جلَّ وعلا- عن مشابهة الحوادث[٢] في صفاتهم

=

أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ٣/ ٥٣٢ (٩٣٧)]، وقال إسحاق بن راهويه: «من وصف الله فشبه صفاته بصفات أحد من خلق الله فهو كافر بالله العظيم» [شرح الطحاوية، لابن أبي العز ١/ ٧٠-٧١].

(١) المؤلف يشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، لأن هذه الآية تبيّن المنهج الحق الواجب سلوكه في باب الصفات، وهو الإثبات مع ترك التشبيه، لأن ذلك حقيقة التنزيه، فالنفي العاري عن الإثبات لا يكون تنزيهاً لأنه تعطيل، والإثبات مع التمثيل لا يكون تنزيهاً -أيضاً-، فالتنزيه إذن في الجمع بين الإثبات ونفي المماثلة كما في هذه الآية، فإنها نفت المماثلة وأثبتت لله الصفات؛ فقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ تنزيه؛ وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ إثبات.

(٢) تنزيه الله عن مشابهة الحوادث لفظ مجمل يطلق ويُراد به نفي الصفات الذي هو التعطيل، ويطلق ويراد به التنزيه مع الإثبات، لأن الحوادث تطلق على المخلوق لأنه حادث، وتطلق على صفات الأفعال؛ كالرضا والغضب والنزول والمجيء لأنها تتجدد، وهو لفظ لم يرِد في الكتاب ولا في السنة فينبغي ترك إطلاقه في باب الصفات نفياً أو إثباتاً ولكن يُستفصل عن مراد قائله، فإن أراد به حقاً بدلالة الكتاب أو السنة قُبل منه هذا المعنى وتُوقف في اللفظ لأنه لم يرِد، وإن أراد معنى باطلاً بدلالة الكتاب أو السنة على بطلانه رُد عليه هذا المعنى الباطل كما أنكر عليه اللفظ لأنه مُبتدَع، والمؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا يريد معنى حقاً وهو منع التشبيه. وانظر لما تقدم تقريره بشأن الألفاظ المجملة: التدمرية، لشيخ الإسلام ص: ٦، وشرح الطحاوية، لابن أبي العز ١/ ٧٠-٧١.

سبحانه وتعالى عن ذلك علوّاً كبيراً.

والثاني: الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه في كتابه أو وصفه به رسولُه ﷺ، لأنه لا يصف اللهَ أعلم بالله من الله ﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠]، ولا يصف الله بعد الله أعلم بالله من رسول الله ﷺ الذي قال فيه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: الآيتان ٣، ٤]، فمن نفى عن الله وصفاً أثبته لنفسه في كتابه العزيز، أو أثبته له رسوله ﷺ زاعماً أن ذلك الوصف يلزمه ما لا يليق بالله -جلَّ وعلا- فقد جعل نفسه[(١)] أعلم من الله ورسوله بما يليق بالله -جلّ وعلا[(٢)]؛ سبحانك هذا بهتان عظيم.

ومن اعتقد أن وصف الله يشابه صفات الخلق فهو مشبِّهٌ ملحدٌ ضالّ[(٣)].

---

(١) في الأصل: (لنفسه)، والمثبت هو الصواب.

(٢) لأن لازم الحق لا يكون إلا حقاً؛ فلازم كلام الله إن صح أن يكون لازماً لا يكون إلا حقّاً؛ إذ أن الله تعالى عالمٌ بما يكون لازماً من كلامه، فلو كانت نصوص الصفات تستلزم معنىً فاسداً لبيَّنه تعالى، ولكن لا تستلزم معنى فاسداً؛ فالقول بأنها تستلزم التشبيه قدح في علم الله تعالى بما يكون لازماً من كلامه، وافتراءٌ عليه تعالى، أو وصفٌ لله تعالى ولكتابه بالتلبيس والتعمية، وهو باطل بلا ريب. انظر: القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، لابن عثيمين ص: ١٣ ـ ١٤.

(٣) تقدم أنه كافر انظر: ص: ٤٠ في الحاشية.

والملحد من الإلحاد، وهو في اللغة الميل والعدول عن الشيء، وفي الاصطلاح الميل والعدول عن الحق إلى غيره. والإلحاد في الأسماء والصفات معناه الميل بها عما يجب فيها، وهو أنواع:

الأول: إنكار شيء منها أو مما دلت عليه من الصفات والأحكام كما فعل أهل التعطيل من الجهمية وغيرهم. وإنما كان ذلك إلحاداً لوجوب الإيمان بها وبما دلت عليه من =

ومن أثبت لله ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ مع تنزيهه -جل وعلا- عن مشابهة الخلق فهو مؤمن، جامع بين الإيمان بصفات الكمال والجلال، والتنزيه عن مشابهة الخلق، سالم من ورطة التشبيه والتعطيل[1].

والآية التي أوضح الله بها هذا هي قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، فنفى عن نفسه -جلّ وعلا- مماثلة الحوادث[2] بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾. وأثبت لنفسه صفات الكمال والجلال بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ

=

الأحكام والصفات اللائقة بالله، فإنكار شيء من ذلك ميل عما يجب فيها.

الثاني: أن يجعلها دالة على صفات تشابه صفات المخلوقين كما فعل أهل التشبيه، وذلك لأن التشبيه معنى باطل لا يمكن أن تدل عليه النصوص بل هي دالة على بطلانه فجعلها دالة عليه ميل بها عما يجب فيها.

الثالث: أن يسمى الله تعالى بما لم يسم به نفسه كتسمية النصارى له (الأب) وتسمية الفلاسفة له (العلة الفاعلة)، وذلك لأن أسماء الله تعالى توقيفية فتسمية الله تعالى بما لم يسم به نفسه ميل عما يجب فيها كما أن هذه الأسماء التي سموه بها نفسها باطلة ينزه الله تعالى عنها.

الرابع: أن يشتق من أسمائه أسماء للأصنام كما فعل المشركون في اشتقاق العزى من العزيز واشتقاق اللات من الإله على أحد القولين فسموا بها أصنامهم، وذلك لأن أسماء الله تعالى مختصة به، فتسمية غيره بها على الوجه الذي يختص بالله ميل بها عما يجب فيها.

والإلحاد بجميع أنواعه محرم لأن الله هدد الملحدين بقوله: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف ١٨٠]، ومنه ما يكون شركًا أو كفراً حسبما تقتضيه الأدلة الشرعية. انظر: مدارج السالكين ١/ ٢٩ ـ ٣٠، والقواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، لابن عثيمين ص: ١٦ ـ ١٧.

(١) التشبيه والتعطيل تقدم معناهما في ص: ٢٦ ـ ٢٧.

(٢) يريد المخلوقات، كما تقدم.

ٱلْبَصِيرُ ﴾؛ فصرّح في هذه الآية الكريمة بنفي[١] المماثلة مع الاتصاف بصفات الكمال والجلال. والظاهر أنَّ السرّ في تعبيره بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ دون أن يقول –مثلاً– (وهو العلي العظيم) أنَّ السَّمع والبصر يتصف بهما جميع الحيوانات[٢]، فبيَّن أن الله متصف بهما، ولكن وصفه بهما على أساس نفي المماثلة بين وصفه تعالى وبين صفات خلقه، ولذا جاء بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ بعد قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾؛ ففي هذه الآية الكريمة إيضاح للحق في آيات الصفات لا لبس معه، ولا شبهة البتة، وبالله التوفيق/[٣].

اعلم أن آيات الصفات جاء في القرآن وصف الخالق والمخلوق بها، ولكن وصف الخالق منافٍ لوصف المخلوق كمنافاة ذات الخالق لذات المخلوق، فمن ذلك صفة الوجود، منهم من جعل الوجود عين الذات[٤]

---

(١) في الأصل: (نفي)، والمثبت هو الصواب.

(٢) فكأنه يقول فإذا كان هناك ثمَّ توهم في المماثلة فليكن توهمٌ للمماثلة في اتصاف هذه المخلوقات في صفة السمع والبصر، لأنهما من أكثر الصفات اشتراكًا بين المخلوقات، فالنملة –مثلاً– لها سمع وبصر يليقان بذاتها، والإنسان له سمع وبصر يليقان بذاته، ولكن فرق بين نسبة هاتين الصفتين إلى النملة وإلى الإنسان، فإذا وقع هذا الاختلاف بين مخلوق وآخر فمن باب أولى أن يقع بين الخالق والمخلوق؛ فكل صفة تناسب الموصوف بها، فسمع المخلوق يناسب ذاته، وسمع الله يناسب ذاته، وما بين الصفتين من القدر المشترك هو المعنى العام الذي يجمعهما في أصل اللغة، أما عند الإضافة فكل صفة تناسب الموصوف بها. انظر: اللآلي البهية في شرح العقيدة الطحاوية، للشيخ صالح آل الشيخ ١/ ١٦٩، ١٧٩.

(٣) نهاية الورقة (٣) من المخطوطة.

(٤) القول إن الوجود عين الذات، هو من كلام الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما حكاه عنه الألوسي في روح المعاني ١٧/ ٢٠٦ وهو خطأ؛ لأن الصفة قائمة بالذات، وليست هي الذات.

=

فلم يعده صفةً كأبي الحسن الأشعري[١]، وعلى كل حال فلا يخفى أن الخالق موجود والمخلوق موجود، ووجود الخالق ينافي وجود المخلوق[٢]، وأيضًا: الصفات السَّبع المعروفة بصفات المعاني وهي:

=

يقول أبو البقاء الكفوي: «قال الشيخ أبو الحسن الأشعري: قد يكون الاسم عين المسمى نحو: (الله) فإنه علم للذات من غير اعتبار معنى فيه، وقد يكون غيره نحو: الخالق والرازق مما يدل على نسبته إلى غيره، ولا شك أنه غيره، وقد يكون لا هو ولا غيره؛ كالعليم والقديم مما يدل على صفة حقيقية قائمة بذاته انتهى. لكن إطلاق الاسم بمعنى الصفة على ما مدلوله مجرد للذات بلا معنى زائد محل نظر» [كتاب الكليات ص: ٨٦]، وانظر: مجموع الفتاوى ٣/ ٣٣٧، ومقدمة ابن خلدون ص: ٤٦٤.

قلت: وهذه المسألة تتفرع عن مسألة الاسم والمسمى، وقد اختلف الناس فيها إلى ثلاثة مذاهب: من يقول الاسم هو المسمَّى، ومن يقول: هو غيره، ومن يقول: الاسم للمسمَّى، وهو أعدلها، لأنه اللفظ الذي وردت به النصوص، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ولكل قائل من هذه الطوائف مقاصد صحيحة ذكرها ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٦/ ١٨٧ ـ ١٨٩. .

(١) هو: علي بن إسماعيل بن أبي البشر، المتكلم، البصري، وهو الذي تنتسب إليه الأشاعرة في طوره الثاني بعد رجوعه من مذهب الاعتزال وميله إلى مذهب ابن كلاب، وقد مرّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بثلاثة أطوار: الأول كان معتزليًا ثم رجع عن الاعتزال إلى مذهب ابن كلاب، وهذا طوره الثاني، ثم رجع عن مذهب ابن كلاب ووافق أهل السنة في مجمل اعتقادهم، وهذه المرحلة الأخيرة التي مات عليها رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث ألّف كتاب الإبانة مبيِّنًا فيه سلوكه لمذهب السلف. توفي سنة ٣٢٤هـ، وقيل: ٣٣٠هـ، وقيل بعد ذلك. انظر: العبر في خبر من غبر، للذهبي ٢/ ٢٠٨ـ ٢٠٩، والملل والنحل، للشهرستاني (جـ١/ ٨١ ـ ٩١).

(٢) وجود الخالق ينافي وجود المخلوقين، وذلك من عدة أوجه:

الوجه الأول: من حيث الزمن؛ فوجود الخالق أزلي لا يحد بزمن؛ إذ ليس لأوليته ابتداء،

=

القدرة، والإرادة، والعلم، والحياة، والسمع، والبصر، والكلام، بيان ذلك:

القدرة

قال الله تعالى في وصف نفسه بالقدرة: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

وقال في وصف الحادث بها: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [المائدة: ٣٤] فأثبت لنفسه قدرة حقيقية لائقة بكماله وجلاله، وأثبت لبعض الحوادث قدرةً مناسبة لحالهم من الضعف والافتقار، والحدوث والفناء، وبَيْنَ قدرته وقدرة مخلوقه من المنافاة ما بين ذاته وذات مخلوقه(١).

=

بخلاف وجود المخلوق فهو حادث له بداية.

الوجه الثاني: من حيث المباينة؛ فوجود الخالق مباين لوجود المخلوق، للتميّز والانفصال بين ذات الخالق والمخلوق خلافاً لمن يقول: بأن وجود الخالق عين وجود المخلوق؛ كأصحاب عقيدة الاتحاد ووحدة الوجود؛ كابن عربي الطائي ومن ضاهاه من غلاة الصوفية.

الوجه الثالث: من حيث الحدوث وعدمه: فوجود الخالق ذاتي، ووجود المخلوق حادث من غيره.

الوجه الرابع: من حيث الكمال فوجود الخالق لا يفنى ولا يبيد، ووجود المخلوق يفنى ويبيد.

(١) هذا هو وجه التغاير بين صفات الله تعالى وصفات مخلوقاته، لأن الصفات تبع للذات؛ فصفات الكامل في ذاته كاملة، وهو الله تعالى، وصفات الناقص في ذاته ناقصة، وهو المخلوق، فالاشتراك بينهما في مجرد التسمية والمعنى العام، أما المعنى المختص والكيف =

الإرادة

وقال في وصف نفسه بالإرادة[1]: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧]، ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ونحو ذلك من الآيات.

وقال في وصف المخلوق بها: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٧]، ﴿إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [الأحزاب: ١٣]، ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ [الصف: ٨]، ونحو ذلك من الآيات.

فله -جلّ وعلا- إرادة حقيقية لائقة بكماله وجلاله، وللمخلوق إرادة أيضًا مناسبة لحاله، وبين إرادة الخالق والمخلوق من المنافاة ما بين ذات الخالق والمخلوق.

=

فلا اشتراك فيه البتة. فالاشتراك يكون في مسمى الاسم المطلق وفي معناه، وهو أمر ذهني لا حقيقة له في الواقع، فإذا أضيف الوصف تخصَّص، فكان كاملاً في حق الله ناقصًا في حق المخلوق. انظر: التدمرية مع شرحها التحفة المهدية ١/ ٥١.

(١) الإرادة من الصفات الفعلية، وهي على نوعين: إرادة كونية قدرية، وهي المتعلِّقة بربوبية الله وخلقه، وهي لازمة الوقوع فيما يحبه الله أو يبغضه، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، وهي المذكورة في قول المسلمين: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. والنوع الثاني: الإرادة الدينية الشرعية: وهي المتعلّقة بإلهية الله وشرعه، ولا تكون إلا فيما يحبه الله، وقد تقع وقد لا تقع، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وهي المذكورة في قول المسلمين: فلان يفعل ما لا يريده الله. أي من المعاصي والذنوب. انظر: شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي ص: ١١٦ ـ ١١٧.

العلم

وقال في وصف نفسه بالعلم: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦]، ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ [الأعراف: ٧]. وقال في وصف الحادث به: ﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: ٢٨]، وقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ﴾ [يوسف: ٦٨]، ونحو ذلك من الآيات.

فله -جلَّ وعلا- علم حقيقي، لائق بكماله وجلاله، وللمخلوق علم مناسب لحاله/ [(١)]، وبين علم الخالق والمخلوق من المنافاة ما بين ذات الخالق والمخلوق.

الحياة

وقال في وصف نفسه بالحياة: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [غافر: ٦٥]، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، ونحو ذلك من الآيات.

وقال في وصف المخلوق بها: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ١٥]، ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الروم: ١٩].

فله -جلَّ وعلا- حياة حقيقية تليق بكماله وجلاله، وللمخلوق أيضاً حياة مناسبة لحاله، وبين حياة الخالق والمخلوق من المنافاة ما بين ذات الخالق والمخلوق.

---

(١) نهاية الورقة (٤) من المخطوطة.

السمع والبصر

وقال في وصف نفسه بالسمع والبصر: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥]، ونحو ذلك من الآيات. وقال في وصف الحادث بهما: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾[الإنسان: ٢]، ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[مريم: ٣٨]، ونحو ذلك من الآيات. فله -جلَّ وعلا- سمع وبصر حقيقيان يليقان بكماله وجلاله، وللمخلوق سمع وبصر مناسبان لحاله، وبين سمع الخالق وبصره وسمع المخلوق وبصره من المنافاة ما بين ذات الخالق والمخلوق[(١)].

الكلام

وقال في وصف نفسه بالكلام[(٢)]: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء:

---

(١) السمع والبصر من الصفات الذاتية، لأنهما لا ينفكان عن ذات الله تعالى، فوجودهما أزلي. وسمع الله لا كسمع المخلوقين، لأنه سمع كامل يتعلّق بكل المسموعات فلا يخفى على الله تعالى شيء منها، فيسمع السر وأخفى، وأما سمع المخلوق فهو سمع ناقص محدود، فلا يسمع إلا ما كان في حد سمعه، وهو أيضاً يعتريه الثقل والزوال. وبصر الله كذلك يتعلّق بجميع المُبصَرات، فلا يغيب عن بصره مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، ولا أدنى من ذلك، وأما بصر المخلوق فهو محدود، فلا يُبصر إلا ما يصل إليه حدُّ بصره، وأيضاً: يعتريه النقص والكَلُّ ثم الزوال.

(٢) كلام الله تعالى كلام حقيقي بصوتٍ يُسمع وبحرفٍ يُكتب، وهو لا يماثل كلام المخلوقين. وكلام الله من صفاته فليس بمخلوق، لأن الله بصفاته ليس بمخلوق. وهو من الصفات الفعلية الذاتية؛ فباعتبار أصله فهو ذاتي، وباعتبار آحاده فهو فعلي، لأنه يتجدد بحسب =

١٦٤]، ﴿إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤]، ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، ونحو ذلك من الآيات. وقال في وصف المخلوق به: ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف: ٥٤]، ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥]، ﴿قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم: ٢٩]، ونحو ذلك من الآيات.

فله -جلَّ وعلا- كلام حقيقي يليق بكماله وجلاله، وللمخلوق كلام

=

المشيئة، وقد ضلَّ في هذه الصفة طوائف من المبتدعة؛ منهم المعتزلة حيث نفوا هذه الصفة عن الله، وقالوا المراد بالكلام هنا أمر مخلوق، وإضافته إلى الله من إضافة المخلوق إلى خالقه، وهو من أبطل الباطل، لأن الإضافة على نوعين: إضافة عين إلى ذات الله تعالى فهذه تحتمل إضافة الخلق إليه كقولنا: بيت الله، ناقة الله. والنوع الثاني إضافة معنى إلى ذاته تعالى وهذه لا تحتمل إلا إضافة الصفة إلى الموصوف؛ كقولنا: علم الله، قدرة الله، كلام الله. وممن ضلّ في هذه الصفة أيضاً: الأشاعرة حيث زعموا أن كلام الله معنى قائم بذاته، وأنه لا يتجدد بل هو كلام نفسي، أي معاني يلقيها الله تعالى في نفس جبريل ثم جبريل عليه السلام يعبِّر عنها بلفظه، ولذا يقولون القرآن عبارة عن كلام الله، ولا يقولون هو كلامه حقيقة، وهذا أيضاً باطل تكذبه لغة العرب وحديث النبي ﷺ؛ أما لغة العرب فلأن الكلام في لغة العرب هو اللفظ المركب المفيد بالوضع العربي، هكذا أطبق النحاة على تعريفه، وأما أحاديث السنة فإن السنة قد فرَّقت بين الكلام النفسي والكلام باللفظ فجعلت الكلام باللفظ كلاماً، وأما حديث النفس فليس بكلام والدليل قوله ﷺ: «إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به نفسها ما لم تعمل أو تتكلم» أخرجه البخاري في كتاب الطلاق، باب: إذا قال لامرأته وهو مكره: هذه أختي ٥/ ٢٠٢٠، ومسلم في كتاب الإيمان، باب: تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر ١/ ١١٦، وانظر: شرح الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي ص: ١٧٩ ـ ١٩٩.

أيضاً مناسب لحاله، وبين كلام الخالق والمخلوق من المنافاة/ [١] ما بين ذات الخالق والمخلوق.

الصفات المعنوية

اعلم أن الصفات المعنوية عند المتكلمين[٢] هي[٣] الأوصاف المشتقة من صفات المعاني السبع المذكورة[٤]، وهي كونه تعالى قادراً مريداً عالماً

(١) نهاية الورقة (٥) من المخطوطة.

(٢) المتكلمون: نسبة إلى علم الكلام، وهو العلم الذي يبحث في الكلام في العقائد الدينية عن طريق الأدلة العقلية وجعلها أصلاً للأدلة النقلية. انظر: المواقف، للإيجي ص: ١/ ٣١، والمقدمة، لابن خلدون: ص: ٤٥٨.

وعلم الكلام علم مذموم قد ذمّه السلف، وذلك لما يفضي إليه من الباطل كنفي الصفات عن الله تعالى، وإنكار كثير من الغيبيات بحجة أن العقل لا يدلّ عليها. يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال شيخنا: والكلام الذي اتفق سلف الأمة وأئمتها على ذمه وذم أصحابه وهو هذه الطرق الباطلة التي بنوا عليها نفي الصفات، والعلو، والاستواء على العرش، وجعلوا بها القرآن مخلوقاً، ونفوا بها رؤية الله في الدار الآخرة، وتكلمه بالقرآن، وتكليمه لعباده، ونزوله كل ليلة إلى سماء الدنيا، ومجيئه يوم القيامة لفصل القضاء بين العباد. فإنهم سلكوا فيه طرقاً غير مستقيمة، واستدلوا بقضايا متضمنة للكذب؛ فلزمهم بها مسائل خالفوا بها نصوص الكتاب والسنة وصريح المعقول جاهلين كاذبين ظالمين في كثير من مسائلهم ورسائلهم وأحكامهم ودلالاتهم؛ وكلام السلف والأئمة في ذلك مشهور» [الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ٤/ ١٢٦٦ ـ ١٢٦٧].

(٣) في الأصل: (فهي)، والصواب ما أثبت.

(٤) والصفات المعنوية نسبة إلى صفات المعاني السبع، وقيل لها صفات معاني لأن العقل يدل عليها عند المتكلمين. والصفة المعنوية عند المتكلمين هي: ما تدل على معنى زائد =

حيـاً سميعـاً بصيراً متكلِّمـاً، وقد بيَّنا في اتصاف الخـالق والمخلـوق بالمعـاني المـذكورة منافـاة صـفة الخـالق للمخلـوق، وبـه تعلـم مثلـه في الاتصـاف بالمعنوية المذكورة[١] لو فرضنا أنها صفات زائدة على صفات المعاني[٢]؛ مع أن التحقيق أنها عبارة عن كيفية الاتصاف بها[٣].

الصِّفات السَّلبية[٤]

اعلـم أن الصـفات السَّـلبية عنـد المتكلمـين خمـس وهـي: القـدم والبقـاء

=

على الذات. انظر: الكليات ص: ٥٤٧، متن السنوسية ص: ٢ ـ ٣.

(١) وهي كونه تعالى قادراً مريداً...إلخ.

(٢) انظر: المواقف للإيجي ١/ ٤٠٣.

(٣) المراد بذلك أثرها وما تدل عليه من المعاني، لأن السمع يدل على اتصاف الخالق بهذه الصفة على الوجه الذي يليق به تعالى من غير مشابهة لسمع المخلوق، وكذلك البصر يدل على اتصاف الخالق بهذه الصفة على الوجه اللائق، وكذلك يقال في بقية صفات المعاني.

(٤) يقول الكفوي في الكليات ص: ٥٤٧: «الصفة السَّلبية هي التي توصف بها الذات من غير قيام معنى به؛ مثل: الأول، والآخر، والقابض، والباسط» أي: تدل على عدمٍ محض. انظر: منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، للشنقيطي ص: ١٧.

والصفة السَّلبية عند أهل السنة هي الصفة المنفية عن الله تعالى، وتدل على إثبات كمال ضد المنفي بها، كنفي الظلم عن الله فهو ليس نفياً محضاً وإنما يدل على اتصافه بكمال الضد، وهو العدل، لأن النفي المحض عدم محض، والعدم المحض ليس بشيء، وما ليس بشيء فهو كما قيل: ليس بشيء، فضلاً عن أن يكون مدحاً أو كمالاً، ولأن النفي المحض يوصف به المعدوم والممتنع، والمعدوم والممتنع لا يوصف بمدحٍ ولا كمال، ولذلك فالنفي في باب الصفات ليس مجرداً. انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية ٣/ ٣٥، وشرح الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي ص: ١٠٨.

والوحدانية والمخالفة للخلق والغنى المطلق المعروف عندهم بالقيام بالنفس. وضابط الصفة السَّلبية عندهم؛ هي التي لا تدل بدلالة المطابقة[١] على معنى وجودي أصلاً، وإنما تدل على سلب ما لا يليق بالله عن الله. مثال ذلك عند المتكلمين: القدم فإنه لا يدل على شيء زائد على ما دلّ عليه الوجود إلا سلب العدم السابق[٢]، وهكذا في باقي السَّلبيات[٣].

(١) دلالة المطابقة هي دلالة الشيء على كامل معناه، كدلالة اسم الله الحي على ذات الله تعالى وعلى صفة الحياة. انظر: القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ص: ١١.

(٢) إلا أنه أخص من الأزل عند المتكلمين، لأن الأزل عبارة عما لا أول له سواء كان وجوديًا أو عدميًا، والقدم عندهم عبارة عما لا أول له بشرط أن يكون وجوديًا كذات الله. انظر: منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، للشنقيطي ص: ١٧.

(٣) يقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند هذا الموضع في تفريقهم بين صفات المعاني والصفات السَّلبية: «فإن قيل القدرة –مثلاً– تدل على سلب العجز، والعلم يدل على سلب الجهل، والحياة تدل على سلب الموت، فلِمَ لا يسمون هذه المعاني سلبية أيضًا؟!.

فالجواب: أن القدرة –مثلاً– تدل بالمطابقة على معنى وجودي قائم بالذات، وهو الصفة التي يتأتّى بها إيجاد الممكنات وإعدامها على وفق الإرادة، وإنما سلبت العجز بواسطة مقدمة عقلية وهي: أن العقل يحكم بأن قيام المعنى الوجودي بالذات يلزمه نفي ضده عنها لاستحالة اجتماع الضدين عقلاً، وهكذا في باقي المعاني». انتهى [أضواء البيان ٢/ ٢٣].

قلت: وطريقة الأشاعرة في إثبات الصفات السَّلبية طريقة مخالفة لطريقة السلف، وذلك من وجهين:

الأول: أنهم جعلوا الصفات الثابتة صفات سلبية أي: منفية.

الثاني: أنهم لم يُثبتوا ما دلّت عليه من الكمال اللائق إلا الوجود فقط، وهذا فيه تعطيل ما دلَّت عليه من الكمال الزائد عن الوجود، وهو المقصود بالصفة، وليس المقصود بالصفة الوجود فقط، لأن الصفة فرع عن الوجود وهي زائدة عليه.

فإذا عرفت ذلك =فاعلم=[١] أن القدم والبقاء اللذيْن يصف المتكلمون بهما اللهَ تعالى زاعمين أنه وصف بهما نفسه[٢] في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

جاء في القرآن الكريم وصف الحادث بهما أيضاً؛ قال في وصف الحادث بالقدم: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩]، وقال: ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يوسف: ٩٥]، وقال: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ﴾ [الشعراء: ٧٥-٧٦].

وقال في وصف الحادث بالبقاء: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ [الصافات: ٧٧]، وقال: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦]. وكذلك وصف الحادث بالأولية والآخرية المذكورتين في الآية، قال: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ﴾ [المرسلات: ١٦-١٧].

---

(١) كلمة (فاعلم) ليست في الأصل والسياق يقتضي إثباتها هنا.

(٢) القِدَم لم يرد في النصوص أن الله وصف به نفسه، لأنه لا يدل على خصوص مدحٍ يليق بالله تعالى، بل يدل على مطلق التقدم على الغير ولا يدل على التقدم المطلق، كما أنه يدل على معنىً لا يليق بالله تعالى إذ القديم في لغة العرب المتقدم على غيره في الوجود، فإذا حدث الآخر قيل للأول قديماً قال تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩]، ولذا فهو لا يمنع المشاركة في التقدم المطلق، فكان الأولى عدم إطلاقه في حق الله تعالى، وبعض أهل العلم يرخص في جواز الإخبار به عن الله تعالى، ولكن الأسلم عدم إطلاقه لا اسماً ولا وصفاً ولا خبراً لما تضمن من هذا المحذور، والله تعالى أعلم. راجع شرح ابن أبي العز على الطحاوية ص: ١١٣-١١٥.

وأما البقاء فقد دلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧].

الوحدانية[١]

اعلم أن الله وصف نفسه بأنه واحد قال: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣].

وقال في وصف الحادث بذلك: ﴿يُسْقَىٰ[٢] بِمَآءٍ وَٰحِدٍ﴾[٣] [الرعد: ٤].

المخالفة للخلق[٤]

هذه الصفة انفرد الله بها عن خلقه، وقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ

---

(١) الوحدانية معناها التفرُّد في الذات والأفعال والصفات مع اعتقاد أنه المستحق للعبادة وحده، وهي تتضمن توحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات. والوحدانية المطلقة التي تنفي المشاركة أصرح دليل عليها قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، وأما هذه الآية ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ فهي تنهى عن الشرك في العبادة ولا تدل على أنّ الإله واحد، لأن ذلك يخالف الواقع؛ لوجود آلهة معبودة مع الله تعالى قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ [الفرقان: ٣]، ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةً﴾ [الأحقاف: ٢٨].

(٢) في الأصل: (تُسقى) بالتاء، وهي قراءة سبعية قرأ بها ابن كثير ونافع وأبو عمرو. ومن قرأ بالتاء ذهب إلى تأنيث الزرع والنخيل، ومن قرأ بالياء؛ كحفص المدني، ذهب إلى جواز التذكير والتأنيث للزرع والنخيل. انظر: زاد المسير، لابن الجوزي ٤/ ٣٠٣.

(٣) أي: الزرع.

(٤) المخالفة للخلق هنا عامة في الصفات والأفعال والذات وفي استحقاقه العبادة وحده، وهي بمعنى تنزيهه تعالى عن المثيل والشبيه والنظير والشريك.

وكان الأولى التعبير بنفي التمثيل، لأنه الوارد في النصوص كما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]؛ ولأن لفظ المخالفة للخلق مجمل يستعمله أهل البدع في نفي الصفات؛ والتعبير بالألفاظ الشرعية هو سبيل أهل الحق كما قرر ذلك شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مجموع الفتاوى ١٦/ ٤٣٢.

ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]، وقال: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: ٤] / (١).

الغنى المطلق

وهو معروف عند المتكلمين بالقيام بالنفس(٢).

وقال في وصف نفسه بالغنى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [فاطر: ١٥] ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ [إبراهيم:٨].

وقال في وصف الحادث بالغني ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾ [النساء: ٦]، ﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور: ٣٢].

فهو -جلّ وعلا- موصوف بتلك الصفات حقيقة على الوجه اللائق بكماله وجلاله، والحادث موصوف بها أيضاً على الوجه المناسب لحدوثه وفنائه وعجزه وافتقاره(٣)، وبين صفات الخالق والمخلوق من المنافاة ما بين ذات الخالق والمخلوق(٤).

---

(١) نهاية الورقة (٦) من المخطوطة.

(٢) ومعناه عند المتكلمين النفي المطلق والذي يعنون به الاستغناء عن المخصص والمحل. انظر: منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، للشنقيطي ص: ١٧.

(٣) المقصود أن غنى المخلوقات حادث ليس ذاتياً من نفسها، وغنى الخالق ذاتي منه تعالى.

(٤) أي: ما بين ذات الخالق والمخلوق.

صفات الأفعال[١]

ومعلوم أن ما وصف الله به نفسه من الأفعال فهو ثابت له حقيقة على الوجه اللائق بكماله وجلاله، وما وصف به المخلوق منها فهو ثابت له أيضًا على الوجه المناسب لحاله، وبين وصف الخالق والمخلوق من المنافاة ما بين ذات الخالق والمخلوق، فمن ذلك وصفه -جلَّ وعلا- نفسه بأنه يرزق خلقه قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]، وقال: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [هود: ٦].

وقال في وصف الحادث بذلك: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [النساء: ٨]. وقال: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾[البقرة:٢٣٣].

قال في وصف نفسه بالعمل:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ﴾ [يس: ٧١].

وقال في وصف الحادث به: ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[٢] [السجدة: ١٧].

---

(١) الصفات الفعلية هي الصفات المتعلقة بمشيئة الله تعالى، وهي تقع إذا أراد، وهذه الصفات تحدث وتتجدد بحسب المشيئة والإرادة، وهذه الصفات يثبت أهل السنة لله تعالى ما ثبت منها بدلالة الكتاب أو السنة، وذهب المعطلة بجميع درجاتهم في التعطيل إلى نفيها بحجة أنها حوادث، والحوادث لا تقوم بالله.

(٢) ولكن فرق بين العملين فعمل الله تعالى يكون بإرادته ومشيئته المستقلة، ولذا لا يُسأل عمَّا يَفْعَل. وأما عمل المخلوق فهو واقع بمشيئة العبد التابعة لمشيئة الله وإرادته، ولذا يجازى =

قال في وصف نفسه بتعليم خلقه:

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١-٤].

وقال في وصف الحادث به: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [الجمعة:٢].

وجمع المثالين[(١)] في قوله تعالى: ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٤] /[(٢)].

قال في وصف نفسه بأنه ينبئ[(٣)]:

﴿وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [التحريم:٣].

اعلم أن الله سبحانه وتعالى وصف نفسه في هذه الآية بأنه ينبئ ووصف

=

عليه ويُحاسب إذا خالف مقتضى الإرادة. وقد ضلَّ في هذا الباب طوائف من المبتدعة كالمعتزلة حيث نفوا خلق أفعال العباد السيئة مستشكلين كيف يخلقها الله وهو لا يحبها؛ فسووْا بين الإرادة والمحبة، وقد ردّ عليهم أهل السنة بأنه فرق بين الإرادة والمحبة؛ فالإرادة أعمُّ من المحبة، لأنك قد تريد الشيء وأنت لا تحبه، كالمريض يريد الدواء الكريه الطعم وهو لا يحبه، فإذا انفكت جهة الإرادة والمحبة في حق المخلوق، فمن باب أولى أن تنفك في حق الله تعالى. انظر تحقيق هذه المسألة في كتاب شفاء العليل، لابن القيم ص: ١٠٩ ـ ١٤٩، ومجموع الفتاوى، لابن تيمية ٨/ ٤٧٧ ـ ٤٧٨.

(١) أي: وصف الخالق والمخلوق بالتعليم.

(٢) نهاية الورقة (٧) من المخطوطة.

(٣) الإنباء بمعنى الإخبار والإعلام، وهو الخبر ذو الفائدة العظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن، ولا يقال للخبر في الأصل نبأ حتى يتضمَّن هذه الأشياء الثلاثة. انظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب ص: ٤٨١.

المخلوق بذلك، وجمع المثالين فيها.

قال في وصف نفسه بالإيتاء:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ ﴾ [البقرة:٢٥٨]. وقال: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[البقرة:٢٦٩]. وقال: ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾ [هود:٣] وقال: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الحديد:٢١]. وقال في وصف الحادث بذلك: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ﴾ [النساء:٢٠]، ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾ [النساء:٢]، ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴾ [النساء:٤]، وأمثال هذا كثيرة جداً في القرآن العظيم[(١)].

الصفات الجامعة

اعلم أن وصف الخالق والمخلوق بالصفات الجامعة في القرآن كثير جداً، وذلك كالعِظَم، والكِبَر، والعلو، والملك، والتكبر، والجبروت، ونحو ذلك، ومعلوم أنَّ ما وصف بها الخالق منها نفسه منافٍ لما وصف به

(١) ومعلوم أن ما وُصِفَ به الله من هذه الأفعال فهو ثابت له حقيقة على الوجه اللائق بكماله وجلاله، وما وصف به المخلوق منها فهو ثابت له أيضاً على الوجه المناسب لحاله، وبين وصف الخالق والمخلوق من المنافاة ما بين ذات الخالق والمخلوق، والاشتراك إنما هو في مجرد الاسم العام، وهو أمر ذهني لا تحقق له في الأعيان، فإذا أضيف هذا الاسم إلى معيَّن تخصَّص فيكون معناه بحسبه، فلا يقع تماثل لأجل هذا المسمَّى العام. انظر: التدمرية مع شرحها التحفة المهدية ص: ٧٨، وأضواء البيان ٢/ ٢٥.

المخلوق كمنافاة ذات الخالق لذات المخلوق[١].

قال في وصف نفسه بالعلو والعِظَم والكِبَر:

﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة:٢٥٥]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا﴾ [النساء:٣٤]، ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ﴾ [الرعد:٩].

وقال في وصف الحادث بالعِظَم: ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ[٢] ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الشعراء:٦٣]، ﴿إِنَّكُمۡ لَتَقُولُونَ قَوۡلًا عَظِيمٗا﴾ [الإسراء:٤٠]، ﴿وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ﴾ [النمل:٢٣]، ﴿عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [التوبة:١٢٩]، إلى غير ذلك من الآيات[٣].

وقال في وصف الحادث بالكِبَر: ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾ [هود:١١]. وقال: ﴿إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـٔٗا كَبِيرٗا﴾ [الإسراء:٣١]، وقال: ﴿إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ﴾ [الأنفال:٧٣]، وقال: ﴿وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ﴾ [البقرة:١٤٣]، وقال: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة:٤٥].

وقال في وصف الحادث بالعلو: ﴿وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيّٗا﴾ [مريم:٥٧]، ﴿وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا﴾ [مريم:٥٠] /[٤]، إلى غير ذلك من الآيات.

---

(١) المراد بالصفات الجامعة عند المتكلمين الصفات الجامعة للصفات الوجودية والسَّلبية. انظر: حاشية الدسوقي ٢/ ١٢٧، الفروق، لابن الشاط ٣/ ٩٧.

(٢) الطود: الجبل الكبير. انظر: تفسير ابن كثير ٣/ ٣٣٧.

(٣) أي: الدالة على اشتراك المخلوق والخالق في هذه الصفة، ولكن فرق بين الوصفين، فعظمة المخلوق تخصه وتليق بضعفه، وعظمة الخالق تليق بذاته وكماله.

(٤) نهاية الورقة (٨) من المخطوطة.

و[1] قال في وصف نفسه بالمَلِك:

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ﴾ [الجمعة:١]، ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الحشر:٢٣]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ٥٤ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ﴾ [القمر:٥٤-٥٥].

وقال في وصف الحادث بذلك: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ﴾ [يوسف:٤٣]، ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦ﴾ [يوسف:٥٠]، ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا﴾ [الكهف:٧٩]، ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ﴾ [البقرة:٢٤٧]، ﴿تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ [آل عمران:٢٦]، إلى غير ذلك من الآيات[2].

وقال في وصف نفسه بالعزَّة:

﴿فَإِن زَلَلۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [البقرة:٢٠٩]، ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [الجمعة:١]، ﴿أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ﴾ [ص:٩].

وقال في وصف الحادث بالعزة: ﴿قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠

---

(١) الواو: ليست في الأصل، والسياق يقتضيها.

(٢) ولكن فرق بين وَصْفِ الله تعالى بهذه الصفة وهي المَلِك، ووَصْف المخلوق بها، فالله تعالى هو مَلِك الملوك، وملكه مستمر لا ينقطع، ولذا يقول عند فناء الملوك يوم القيامة: (أنا الملِك أين ملوك الدنيا؟)، وقال أيضاً: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ الفاتحة: ٤ فلا مَلِكَ معه يومئذٍ تعالى وتقدّس.

رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[يوسف:٥١]، ﴿فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي[1] فِي ٱلۡخِطَابِ ﴾ [ص:٢٣].

وقال في وصف نفسه -جلّ وعلا- بأنه جبار متكبر:

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [الحشر:٢٣].

وقال في وصف الحادث بهما: ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ﴾ [غافر:٣٥]، ﴿أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [غافر:٦٠]، ﴿وَإِذَا بَطَشۡتُم بَطَشۡتُمۡ جَبَّارِينَ ﴾ [الشعراء:١٣٠]، إلى غير ذلك من الآيات.

وقال في وصف نفسه بالقوة:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴾ [الذاريات:٥٨]، ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴾ [الحج:٤٠].

وقال في وصف الحادث بها: ﴿وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴾ [فصلت:١٥]، ﴿وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ﴾ [هود:٥٢]، ﴿إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴾ [القصص:٢٦]، ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ ﴾ [الروم:٥٤]، إلى غير ذلك من الآيات/ [2].

---

(١) أي: غلبني وقهرني في الخصومة. انظر: أضواء البيان، للشنقيطي ٦/ ٣٣٠.

(٢) الصفات الجامعة كثيرة في القرآن، ومعلوم أنه -جل وعلا- متصف بهذه الصفات المذكورة حقيقة على الوجه اللائق بكماله وجلاله، وأنّ ما وُصِفَ به المخلوق منها =

الصفات التي اختلف فيها المتكلمون[١]

هل هي من صفات المعاني[٢]، أو من الأفعال[٣]؟ وإن كان الحق الذي لا يخفى على من أنار الله بصيرته أنها صفات معانٍ أثبتها الله -جل وعلا-

=

مخالف لما وُصِف به الخالق كمخالفة ذات الخالق -جل وعلا- لذوات الحوادث، ولا إشكال في شيء من ذلك. [أضواء البيان ٢/ ٢٧].

وقوله: «الآيات» نهاية الورقة (٩) من المخطوطة.

(١) المتكلمون: تقدّم التعريف بهم في ص:٥١.

(٢) صفات المعاني تقدّم التعريف بها عند المتكلمين وهي التي تدل على معنى لائق بذات الله كالصفات السبع التي تثبتها الأشاعرة وهي: الحياة، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام، والعلم.

(٣) الصفات الفعلية عند المتكلمين هي: ما يجوز أن يوصف الله بضدها؛ كالرضا، والرحمة، والسخط، والغضب، ونحوها أي: هي ليست نصاً في الفعل؛ فالواجب تأويلها، لأنّ إثباتها يوهم التشبيه، وهذا بخلاف الصفات الذاتية كالقدرة والعزة والعظمة، فهي ما يوصف الله بها ولا يوصف بضدِّها. انظر: التعريفات للجرجاني ص: ٤٥٨.

وأما الصفات الفعلية عند أهل السنة فهي الصفات التي تحدث وتتجدد لله تعالى بحسب المشيئة، وهي صفات كمال تثبت على الوجه اللائق لله تعالى؛ كصفة الضحك، والرضا، والسخط، والنزول، والاستواء. وهذه الصفات تنفيها الأشاعرة والمعتزلة بحجة أنها لو قامت به لكان محلاً للحوادث، والحوادث إنْ أوجبت له كمالاً فقد عُدِمَه قَبْلَه؛ وهو نقصٌ، وإنْ لم توجب له كمالاً لم يجز وصفه بها.

والجواب: أن هذه الصفات توجب كمالاً لله تعالى لم يكن معطَّلاً عنه في الأزل، لأن الله تعالى قادر على الفعل متى شاء، وقدرته على الفعل صفة ذات لا تنفك عن ذاته تعالى. انظر: مجموع الفتاوى ٦/ ٦٩، ودرء تعارض العقل والنقل ١/ ٩٨.

لنفسه[١]؛ كالرأفة والرحمة[٢]، وهو متصف بها حقيقة على الوجه اللائق بكماله وجلاله، وأن ما وُصِفَ المخلوق منها مخالف لما وُصِفَ به الخالق؛ كمخالفة ذات الخالق لذوات الحوادث.

قال في وصف نفسه بالرأفة والرحمة:

﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل:٧].

وقال في وصف نبينا ﷺ بهما: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨].

وقال في وصف نفسه بالحلم:

﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [الحج:٥٩].

وقال في وصف الحادث به: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات:١٠١]، ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة:١١٤].

---

(١) الواقع أن المتكلمين؛ كالأشاعرة لا يثبتون هذه الصفات، وإنما يرجعونها لصفة يثبتونها وهي: الإرادة، فيقولون في تفسير الرحمة: إرادة الإحسان، وفي تفسير الرأفة إرادة الإحسان أيضاً، لأن هذه الصفات يرجِّحون أنها من صفات الأفعال التي لا يجوز أن يوصف الله بها حذراً من حلول الحوداث بذات الله تعالى. انظر: الفروق، لابن الشاط ٣/ ٩١ ـ ٩٢.

(٢) حكى الخلاف في هذه الصفات- هل هي من الصفات الفعلية التي لا يجوز أن تنسب إلى الله، أو هي من الصفات المعنوية فيجوز أن يوصف الله بها- عن المتكلمين صاحب كتاب الكليات: ص: ٤٦٨.

وقال في وصف نفسه بالمغفرة:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾ [البقرة:١٧٣]، ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾﴾ [الأنفال:٩]، ونحو ذلك من الآيات.

وقال في وصف الحادث بها: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى،الآية:٤٣]، ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الجاثية:١٤]، ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾ [البقرة:٢٦٣]، ونحو ذلك من الآيات.

و[1] قال في وصف نفسه بالرضا ووصف الحادث به أيضا:

﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩].

وقال في وصف نفسه بالمحبة ووصف الحادث بها[2]:

﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة:٥٤]، ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران:٣١].

قال في وصف نفسه بأنه يغضب إذا انتهكت حرماته:

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة:٦٠]، ﴿وَمَن

---

(١) الواو: ليست في الأصل، والسياق يقتضيها.

(٢) وقد غلت الجهمية في نفي صفة المحبة حتى قالت: إن العبد لا يُحِبُّ اللهَ، وهذا من أعظم المكابرة للحس والواقع، فإن محبة العبد لربه لا ينكرها إلا جاحد مكابر.

يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:٩٣] /(١).

وقال في وصف الحادث بالغضب: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ﴾ [الأعراف:١٥٠]، وأمثال هذا كثير جداً.

قال في وصف نفسه بالاستواء على العرش(٢):

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه: الآية ٥].

اعلم أن الله –سبحانه وتعالى– تمدح في سبع آيات من كتابه العزيز باستوائه على العرش، ولم يذكر صفة الاستواء إلا مقرونة بغيرها من صفات الكمال والجلال القاضية بعظمته وجلاله وأنه الرب وحده المستحق لأن

(١) نهاية الورقة (١٠) من المخطوطة.

(٢) المراد بالعرش هنا هو عرش الرحمن -جل جلاله-، وهو أعظم المخلوقات وسقفها، والله تعالى استوى عليه؛ بمعنى علا وارتفع عليه من غير حاجة إليه، واستواء الله على عرشه من صفات الأفعال، وهو علو خاص دلت عليه الأدلة الشرعية التي أوردها المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهذه الصفة مع ظهور أدلتها إلا أن المعطلة قد أطبقت على نفيها عن الله تعالى بحجة التحيُّز وإثبات الجهة والمكان لله تعالى، فاستخدموا هذه الألفاظ المجملة لنفي هذه الصفة، وأهل السنة يثبتونها على الوجه اللائق بالله تعالى وينزهون الله عن مشابهة المخلوقين فيها على طريقتهم في إثبات الصفات، ومرجعهم في ذلك بعد النصوص ما ذكره أئمة السلف كالإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما سُئِل عن هذه الآية ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ كيف استوى؟ فقال: الاستواء معلوم، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. وما ذكره مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو قاعدة تجري في جميع الصفات، فيثبت معناها الذي تدل عليه اللغة من غير تكييف ولا تمثيل.

يعبد وحده.

مواضع الآيات بحسب ترتيب المصحف الكريم:

الأعراف

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ [الآية: ٥٤].

يونس

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾.

الرعد

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾.

طه

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾﴾.

الفرقان

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾﴾.

السجدة

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾﴾.

الحديد

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾/ (١).

وقال في وصف الحادث بالاستواء على بعض المخلوقات: ﴿وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الزخرف، الآيات: ١٢ ـ ١٤]، ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [المؤمنون: ٢٨]، ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [هود: ٤٤]، ونحو ذلك من الآيات.

تنبيه

قد علم مما تقدم أن للخالق -جلَّ وعلا- استواءً لائقـًا بكماله وجلاله، وللمخلوق -أيضـًا- استواء مناسب لحاله، وبين استواء الخالق والمخلوق من المنافاة ما بين ذات الخالق والمخلوق على نحو ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (٢) [الشورى: ١١].

---

(١) نهاية الورقة (١١) من المخطوطة.

(٢) المقصود أن خصائص صفات استواء المخلوق من الحاجة والافتقار إلى ما يستوي إليه بحيث لو غرقت السفينة لسقط المستوِي عليها، ولو عثرت الدابة لخرَّ المستوي عليها، هذه الخصائص لا تلزم في استواء الله على عرشه للتباين بين ذات الله وذات المخلوق وكيفية صفات الله وصفات المخلوق. انظر: التدمرية لشيخ الإسلام مع شرحها ١/ ١٦٩ ـ ١٧٠.

خاتمة

ينبغي للناظر في هذه المسألة[١] التأمل في أمرين:

الأمر الأول: أن جميع الصفات من باب واحد، لأن الموصوف بها واحد، ولا يجوز في حقه مشابهة الحوادث في شيء من صفاتهم، فمن أثبت -مثلاً- أنه سميع بصير، وسمعه وبصره مخالفان لأسماع الحوادث وأبصارهم، لزمه مثل ذلك في جميع الصفات؛ كالاستواء، واليد، ونحو ذلك من صفاته -جلَّ وعلا-، ولا يمكن الفرق بين ذلك بحال[٢].

الأمر الثاني: أن الذات والصفات من بابٍ واحدٍ أيضاً، فكما أنه -جلَّ وعلا- له ذات مخالفة لجميع ذوات الخلق فله تعالى صفات مخالفة لجميع صفات الخلق[٣].

النهاية

فلو قال متنطع بيِّنوا لنا كيفية الاتصاف بصفة الاستواء واليد ونحو ذلك

---

(١) أي: مسألة الصفات، والطريق الذي هو المنجاة نحو هذه الآيات.

(٢) هذه القاعدة يذكرها أهل العلم في الرد على الأشاعرة الذين أثبتوا بعض الصفات ونفوْا البعض الآخر، وهو أن: القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر. انظر: مجموع الفتاوى ٣/ ١٧-١٨.

(٣) هذه القاعدة ذكرها أهل العلم في الرد على المعتزلة والجهمية الذين ينكرون جميع الصفات، ويقولون بأن إثباتها يستلزم التشبيه بالمخلوق، فيقال لهم: القول في الصفات كالقول في الذات؛ فكما أنكم تثبتون ذاتاً لله لا تماثل ذوات المخلوقين، فأثبتوا له صفاتٍ لا تماثل صفات المخلوقين، وإلا تناقضتم. انظر: التدمرية مع شرحها التحفة المهدية ١/ ٨٨-٨٩.

لنعقلها؟ قلنا: أعرفت كيفية الذات المقدسة المتصفة بتلك الصفات؟ فلا بد أن يقول: لا. فنقول: معرفة كيفية الاتصاف بالصفات متوقفة على معرفة كيفية الذات، فسبحان من لا يستطيع غيره أن يحصي الثناء عليه هو كما أثنى على نفسه: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ [طه: الآية ١١٠]، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص] / [(١)].

(١) إلى هنا نهاية المخطوطة، وقد كُتِبَ بعده عبارة: (تم بتوفيقه تعالى في ٢٥ شعبان سنة ١٣٩١هـ، أسأله تعالى أن ينفعني به وجميع المسلمين).

فهرس المصادر والمراجع

۞ القرآن الكريم.

۞ أضواء البيان في تفسير آيات الأحكام، تأليف: محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، نشر دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٥هـ.

۞ الأعلام، تأليف: خير الدين الزركلي، نشر دار العلم للملايين، الطبعة السابعة (١٩٨٤م).

۞ اللآلي البهية في شرح العقيدة الواسطية، تأليف: معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، تحقيق: عادل بن محمد مرسي رفاعي، نشر دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، عام ١٤٣٠هـ.

۞ بدائع الفوائد، تأليف: أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزُّرعي، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا وعادل عبد الحميد العدوي، نشر مكتبة مصطفى الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، عام ١٤١٦هـ.

۞ التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية، تأليف: الأستاذ فالح بن مهدي آل مهدي، نشر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ.

۞ التعريفات، تأليف: علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط: الأولى ١٤٠٥هـ.

۞ تفسير ابن جرير الطبري، تأليف: أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، نشر دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.

۞ تفسير ابن كثير، تأليف: أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، نشر دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠١هـ.

۞ حاشية الدسوقي، تأليف: محمد عرفة الدسوقي، تحقيق: محمد عليش، نشر دار الفكر، بيروت.

۞ درء تعارض العقل والنقل، تأليف: تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ.

۞ الذخيرة، تأليف: شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق: محمد حجي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٤م.

۞ زاد المسير، تأليف عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، عام ١٤٠٤هـ.

۞ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تأليف: هبة الله بن الحسن بن منصور أبي القاسم اللالكائي، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان، نشر دار طيبة، الرياض، ١٤٠٢هـ.

۞ شرح العقيدة الطحاوية، تأليف: ابن أبي العز الحنفي، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة.

۞ شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، تأليف شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيِّم الجوزية، تحقيق: محمد بدر الدين أبي فراس النعساني، نشر دار الفكر، ١٣٩٨هـ.

۞ صحيح ابن حبان، تأليف: محمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ.

۞ صحيح البخاري، تأليف: محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: د، مصطفى ديب البغا، نشر دار ابن كثير، بيروت عام ١٤٠٧هـ.

۞ صحيح مسلم، تأليف: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.

۞ الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، تأليف: أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله، نشر دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثالثة، عام ١٤١٨هـ.

۞ العبر في خبر من غبر، تأليف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهضبي، تحقيق: صلاح الدين المنجد، نشر مطبعة حكومة الكويت، الكويت، الطبعة الثانية، عام ١٩٨٤م.

۞ الفروق، تأليف: أبي القاسم بن عبد الله بن النشاط، تحقيق: خليل المنصور، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ.

۞ القواعد المثلى في شرح صفات الله وأسمائه الحسنى، تأليف: محمد بن صالح العثيمين، نشر مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٥هـ.

۞ كتاب الكليّات، تأليف: أبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ.

۞ لسان العرب، تأليف: محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي، نشر دار صادر، بيروت، ط: الأولى.

۞ متن السنوسية، تأليف: أبي عبد الله السنوسي، بدون بيانات نشر.

۞ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي، نشر مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية.

۞ المجموع في ترجمة العلامة المحدِّث حماد بن محمد الأنصاري، وسيرته، وأقواله، ورحلاته، تأليف عبد الأول بن حماد بن محمد الأنصاري، بدون معلومات طبع.

۞ مدارج السالكين في منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تأليف: ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط: الثانية عام ١٣٩٣.

۞ مسند أبي يعلى، تأليف: أحمد بن علي بن المثنى أبي يعلى الموصلي، تحقيق: حسين سليم أسد، نشر دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٤هـ.

۞ المفردات، تأليف: أبي القاسم الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصبهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، نشر دار المعرفة، بيروت، لبنان.

۞ معجم مقاييس اللغة، تأليف: أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام هارون، نشر وكالة المطبوعات بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية،

الرياض.

۞ مقدمة تاريخ ابن خلدون، تأليف: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، نشر دار القلم، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨٤م.

۞ الملل والنحل، تأليف: أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ.

۞ منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، تأليف: محمد الأمين الشنقيطي، نشر الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، عام ١٣٨٥هـ.

۞ المواقف، تأليف: عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، نشر دار الجيل للتراث، بيروت، الطبعة الأولى، عام ١٤١٧هـ.

۞ نواقض توحيد الأسماء والصِّفات، تأليف: د. ناصر القفاري، نشر دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

فهرس الموضوعات

الموضوع ..... الصفحة

ملخص البحث.....١٣
مقدمة التحقيق.....١٥
سبب اختيار الكتاب.....١٦
خطة البحث.....١٦
عملي في البحث.....١٧
المطلب الأول: ترجمة المؤلِّف.....١٨
اسمه ونسبه.....١٨
ميلاده ونشأته.....١٨
رحلته في طلب العلم.....١٩
شيوخه.....١٩
تلاميذه.....٢٠
ثناء العلماء عليه.....٢٢
مؤلَّفاته.....٢٢
عقيدة المؤلِّف.....٢٤
هجرته إلى مدينة بورتسودان.....٢٥
وفاته.....٢٥
المطلب الثاني: التّعريف بالكتاب ونسخه ومنهج المؤلف فيه، والمقارنة بينه وبين كتاب«منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات».....٢٧

نسبة الكتاب إلى المؤلف.....٢٨
منهج المؤلِّف في الكتاب.....٢٨
المقارنة بين كتاب «تبيان الصفات بالآيات البيِّنات»
وكتاب «منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات».....٢٩
نماذج من المخطوطة.....٣٤
القسم الثاني: التحقيق.....٣٧
القدرة.....٤٦
الإرادة.....٤٧
العلم.....٤٨
الحياة.....٤٨
السمع والبصر.....٤٩
الكلام.....٤٩
الصفات المعنوية.....٥١
الصِّفات السَّلبية.....٥٢
الوحدانية.....٥٥
المخالفة للخلق.....٥٥
الغنى المطلق.....٥٦
صفات الأفعال.....٥٧
قال في وصف نفسه بالعمل.....٥٧
قال في وصف نفسه بتعليم خلقه.....٥٨
قال في وصف نفسه بأنه ينبئ.....٥٨

قال في وصف نفسه بالإيتاء.....٥٩
الصفات الجامعة.....٥٩
قال في وصف نفسه بالعلو والعِظَم والكِبَر.....٦٠
و قال في وصف نفسه بالمَلِك.....٦١
وقال في وصف نفسه بالعزَّة.....٦١
وقال في وصف نفسه -جلّ وعلا- بأنه جبار متكبر.....٦٢
وقال في وصف نفسه بالقوة.....٦٢
الصفات التي اختلف فيها المتكلمون.....٦٣
قال في وصف نفسه بالرأفة والرحمة.....٦٤
وقال في وصف نفسه بالحلم.....٦٤
وقال في وصف نفسه بالمغفرة.....٦٥
وقال في وصف نفسه بالرضا ووصف الحادث به أيضا.....٦٥
وقال في وصف نفسه بالمحبة ووصف الحادث بها.....٦٥
قال في وصف نفسه بأنه يغضب إذا انتهكت حرماته.....٦٥
قال في وصف نفسه بالاستواء على العرش.....٦٦
تنبيه.....٦٨
خاتمة.....٦٩
النهاية.....٦٩
فهرس المصادر والمراجع.....٧١
فهرس الموضوعات.....٧٦